

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

تصدر مرتين في أول كل شهر وفي نصفه

العدد العاشر ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ — ١٥ يونيه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة

٥٨٦	إكسوس ومكربا		أسطورة إغريقية ..		بقلم أحمد حسن الزيات	
٥٩٣	المنال		أقصوصة فرنسية		بقلم الأستاذ ابن عبد الملك	
٥٩٧	يوميات نائب في الأرياف		صور مصرية		بقلم الأستاذ توفيق الحكيم	
٦٠٣	الزوجة		لواشجنطون ارفنج		بقلم الأدب حين محمد كامل	
٦٠٨	المرضى		أقصوصة مصرية		بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	
٦١٦	وتفضلوا بقبول احترامى		لسالكوف		بقلم الأستاذ عبد اللطيف الدشار	
٦٢٠	جزاء الاجتهاد		لرشارد جارت		بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى	
٦٢٦	الذراع الذابلة		لتوماس هاردى		بقلم نظمي خليل	
٦٣٣	اعترافات فتى العصر		لأنفريد دى موسيه		بقلم الأستاذ فليكس فارس	
٦٤١	الأوذيسة		لهومبوس		بقلم الأستاذ دريني خشبة	

اسطورة عريقة تمثل الفضيلة والشعر

أكسوس وكريانا

للشاعر الفرسى هيجيبى مورر
نقلم الأستاذ احمد حسن الزيات

ألهتها عن مصدر هذه
الحرب

ودلفى كانعلمين^(١)
مدينة مقدسة تفيض
جوانبها بالمعجائب ،
والناس يعمرون عليها
وهم عنها معرضون ،
وأنا كأولئك الناس

فى هذا اليوم لا أريد أن أنتقل بك من البرناس
إلى الهيدروم ، ولا من الهيدروم إلى منصة
أبولون ، فأنك ولا شك حججت إلى هذه
الأماكن منذ طويل فى (سياحة أنا كرسيس) ،
وأنا - ولا أخفى عنك - مشوق كذلك إلى رؤية
أشباه هرقليس

كان الشعور الذى استولى على الأغريق لدى
رؤيتهم أولئك الأبطال يترجم عنه هذا الهتاف
الأجماعى الصاخب : « يا للآلهة الخالدين ! ما أوفى
القوام وما أصلب العضل ! » وكان فى الجمع شيخ
سبط العظام ، تحسبه وفى يده عصاه المذهبة وعلى
جبينه عصا بته البيضاء ، ملكا من ملوك الأغريق
العشرين ، مال على كاهن من كهنة أبولون ، وهو يجتاز
المعبد حاملاً مبخرة من مبخار العطور ، وقال له فى
صوت خافض :

— لقد عرفت هرقليس وزوجه ديچانير
حق المعرفة ، فما عرفت لهما غير ثلاثة بنين ؛
فمن إذن هذه العذراء المنتقبة التى تجلس مع

فى ذات يوم لا أذكر من تاريخه إلا أنه كان
لعماميين من موت هرقليس ، كانت مدينة (دلفى)
تموج بالناس وتمج بالضوضاء وتزخر بالفتوة . كان
ذلك اليوم آخر أيام الألباب الفيتونية ؛ ومن أعجب
الأشياء أن الصراع والسباق كانا يجريان على غير
مشهد من أحد ، والرياضيين والسواقين كانوا
ينتصرون على غير علم من إنسان ، حتى قيل إن
الشاعر سيمندس كان ينشد رائع الشعر فى الفرس
المجتلى ولا يستمع إليه يومئذ إلا بطله ! ذلك لأن
كلمة واحدة طار بها السماع فطارت بالقوم من
ميدان اللعب إلى معبد أبولون :

« هاهم أولاء أبناء هرقليس ! هاهم أولاء
أبناء هرقليس ! »

ومن فى الناس لا يضحى بمقعدته فى الملعب
ليرى أبناء هرقليس سيد أبطال الأغريق ؟ وكانت
أثينا منذ شهر قد استيقظت ذات صباح فوجدت
هؤلاء الأبناء مخلوعين مضطهدين مشردين
يتهاقنون فى الساحة السامة على مذبح الرحمة
فثارت بها الحفيظة لشكواهم ، ونزت فيها القلوب
والسيوف لبلواهم ، ثم بعثت بهم فى هذا اليوم
على رأس السفارة المقدسة إلى دلفى يستنبثون

(١) يوجه الكاتب الحديث إلى صاحبه التى دعاها
أخته ، وكتب إليها طائفة من الأقاصيص عنوانها (أنايسيس
إلى أختى) Contes à ma soeur وهذه إحداها

قسمتها طبيعة الأرض ومطامع الناس إلى عشرين دولة صغيرة ، بتضارب أقيالها الصييد من شدة الزحام بالمرافق والمناكب . وكان العرف الدارج في الأمم القديمة أن يقتتل الناس رجلاً لرجل ، وجسماً لجسم ، فجعلوا قوة البدن جماع القوى وملاك الفضيلة ؛ وكانوا يتوسمون مخايل الكفاية والفضل في قبضة اليد وقوة الكتف ، كما تتوسمها نحن اليوم في أسرار الجبهة ولحاث العين ؛ وحسبك أن هرقليس رمز القوة ومثالها كان إلهها ؛

تأخر ظهور الكاهنة الوسيطة التي يتكلم بلسانها الإله (La Pythie) ولكن أحداً لم يسمع هذين السام ، ولم يلمح عبوس الانتظار ، لأن الجمهور كان يجد فيما يرى غذاء لفضوله ورّياً لشوقه : كان يرى هائوس بكر هرقليس وأكبر الأخوة ، وهو محارب عملاق عارى الذراعين مجذول العضلات مطهم الوجه ، فيجده وعلى منكبيه جلد الأسد ، وفي يده الهراوة العقداء ، أشبه بأبيه من الليلة بالليلة . ثم يرى أنتينور وهو سوغ^(١) هيلوس وأدق منه ملامح وأرشق منه قامة . كان يتشج بقداسته الجديدة ، ويتسم شباب الأغريق ، ومنخره منفوخان يتنسمان عبير الإعجاب في نشوة ولذة . وعلى الجلة كان الإله أنتينور شديد الخيال والصلاف ؛ أما أخوهما (إيجسط) فكان لا يشبههما في شيء غير القوة والشهامة . كان وجوده في هذا العصر وفي هذا العصر خطأ صارخاً في تقويم الزمن . وأعجب شيء فيه أنه كان أشقر الشعر ساهم الوجه منقبض المزاج ، وانقباض المزاج عاطفة عصرية

(١) يقال : هو سوغ أخيه وسيفه إذا ولد بعده وليس بينهما ولد ، وهو بالفرنسية (Puiné)

أبناء هرقليس على مقعد واحد ؟

— كلامك يا أبي الحق لا مربية فيه ، فليس لهرقليس من ديجانير غير ثلاثة بنين ، ولكن له من زوجته الأخيرة (بول)

— فقطعه الشيخ قائلاً : صحيح ! ثم ضرب على جبينه بأصبعه علامة التذكر وقال : لقد روى لي (فيلوكتيت) هذا الحديث عشرين مرة ؛ ولكن قرنين من الزمان يدوران على الرأس لا بد أن يضمضما فيه الذاكرة ! نعم أذكر الآن أن هذا الزواج أعقب بنتاً . . . فارتفع من وراء الشيخ صوت ندى عذب بهذه الجلة :

— بنتا وابناً يا أبي

فالتفت الشيخ فرأى يافعاً شاحب اللون هش العظام في زى أهل الأرجوايد يردد في احتشام وخجل :

— بنتا وابناً وهما إكسوس ومكريا

فتبسم الشيخ ضاحكاً من الغلام ، وقال للكاهن : أنظر ! في (ييلوس) يهتف الناس بملهى ، وفي (أرجوس) يرسلون إلى تلاميذهم ليعلموني . . .

ثم قال للغلام : من الذى أنباك هذا يا بني ؟ وماذا تسمى ؟ ولكن الفتى لم يتحمل ملاطفة نسطور (وهو الشيخ) فأفادت منه وغاب في زحمة الناس دون أن يجيب

وكان ذلك الهتاف لا يزال يدوى في الفضاء لا يمتريه فنور ولا يناله تغير :

« يا للآلهة الخالدين ! ما أوفى القوام وما أصاب العضل ! » وأملك تعجبين لهذا الاطراء ، ونحماينه على محل الاستهزاء ، ولكنك تذكرين أننا في بلاد

مسيحية . ثم كان يرجع من المعارك الدامية الشعواء إلى الدار عذب الروح حيي الطبع ، كأنه أحد أولئك المحاربين الشقر من أهل الشمال : يصرعون المردة والأغوال ، ثم يطأطئون الهام ويحرمون الكلام أمام عصا ساحرة صغيرة . كان وهو يتحسر على عرش (أرجوس) كأنما يأسى على شيء ، أغر عليه من عرش ! قال أين إذن كانت تصعد زفراته وتبخر دموعه ؟ إلى بيت صديق ، أم إلى قبر أم ؟ عِلم ذلك عند الله ؟ فان سره لم يسافر عن ضميره إلى أحد ، حتى أخته الفتاة مكربا ، وهي أمينة سر الأسرة لم يفض إليها بذات صدره . وكانت مكربا جالسة إلى جانبه تصلى ...

عفواً يا أختاه^(١) ! لقد شغلت بالأبطال عن العذراء ، ولكنها هي اللومة ! انظري ! إنها مستترة في ظل إخوانها ، كأنها تحرص على أن تغفلها العيون . إنها لم تكشف عن وجهها النقاب بعد ، فقسماتها لا تزال مجهولة ، ولكنك أسلفت لها الحب ولاشك ، لأنك سمعت منذ قليل أنها وديمة تقيّة

وأخيراً أعلنوا ظهور الكاهنة الوسيطة ، وكان الوهن لا يزال بادياً عليها من أثر ما أصابها من اختلاج الأعصاب في وساطتها الأخيرة بين الآلهة والناس . فهي تجر نفسها جرّاً من الأعباء والجهد حتى بلغت المنصة متكئة على كاهنين من كهنة أبولون . حينئذ انفتحت في جوف المحراب باب على مصراعيه فافتحمت هبة عريضة من الهواء العازف ، فقمشت دخان القرايين وهزت الجمع الحاشد فضج الناس قائلين : « الآلهة ! هذا هو الآلهة ! »

(١) يريد الكاتب أخته هو.

وعندئذ اضطربت النبوة المعذبة في المنصة اضطراب الذبيح ، فخسعت الأصوات وأصنى القوم بدأت الكاهنة أمرها بالشهيق ، ثم اتبعته بمقاطع من الأنين والضراعة ، ثم انتهت إلى كلمات ذاهلة لا تسفر عن معنى ، ثم تكلم الآلهة بلسانها فقال :

« إن (مينرفا) ستقاتل ... ! وعلى خوذتها الآلهة ستصيح البومة : « إني عطشى » ويذهب جهدها باطلاً

ندعو مينرفا إلهة النصر وإلهة النصر أختها فلا تأخذها ... إني أسممها وهي قادمة نثر أجنتها في الهواء ... ولكن البومة تصيح : إني عطشى ، وأريد أن أرتوى بالدماء ...

إن أرجوس تنتظر ملوكها لتؤلمهم : اضطربى وميدى يا أرجوس ! إن البومة في طيرانها السفاح تحوم في الجو باحثة عن جبهة تقيّة تضجها .

إنها تحوم وتحوم ثم تقع على ... ولد من أولاد هرقليس »

وفي هذه الساعة الرهيبة المصيبة على أبناء هرقليس ، لم يكن في المعبد من ملك نفسه وضبط حسه غير أبناء هرقليس !

على أن الكاهنة لم تسكدهم عن الكلام حتى صاح بها هيلوس :

— عيني الضحية بالأمم ولكنها كانت تتساقط من الضعف على درج المنصة ولم يبق منها إلا رمق . فقال كبير الكهنة :

والشفقة عاطفة تجعل القبح ، فكيف يكون أثرها في الحسن ؟

عادت أسرة هرقليس كلها إلى أثينا في مركبة واحدة ، وقد عقد الأبطال الثلاثة قلوبهم على أن يقترعوا بينهم غداً في معبد منير فاليليه وأياهم يجب عليه أن يموت . وكان إكسوس المسكين قد جاء في اختيال ومرح يضع اسمه مع أسماء إخوته في الصندوق ، ولكنهم منعه ودفعوه معتقدين أن من الإهانة للآلهة أن يهبثوا للقدر — وهو في أغلب أمره ساخر عاث — الفرصة ليقدم إليهم هذا القربان الضئيل الأعجف . أما أختهم مكريا فلم يشاءوا أن يعرضوها معهم على رغبة الموت لسبب آخر غير سبب إكسوس : لقد كانت خطيبة (ليكوس) وهو زعيم من زعماء أثينا ذوى رأى المسموع والأمر النافذ ، وأثينا هي التي غضبت لهم تلك الغضبة وشهرت دونهم السيف) فهم يحرمون سبب سياسى أو أدبى على ألا يقطع الاستعداد للتضحية الاستعداد للزفاف . لذلك وجدت مكريا غرقها بعد عودتها تضوع بمبير الألفاف والتحف التي قدمها (ليكوس) ، ولكن نفسها وهي تتساف الحداد على أخ من إخوتها لم يهزها كرم الهدايا ولم يسرها جمال التحف . على أنها رأت إكسيل الزفاف مصوغاً من الزئبق الجليل النضر ، فحملته ووضعته على جبينها من غير إرادة ولا وعى . وفي هذه اللحظة سمعت من خلفها زفيراً يتصعد في ضعف ، فالتفت فإذا هي ترى إكسوس ! إكسوس أخاها الذى جمعت له في قلبها الأم والأخت في وقت ممّا ؛ إكسوس الذى عنيت به وأشبكت عليه لأنه

إن الآلهة كان جبار القلب غليظ السكبد ، فإذا استأنفت التجربة قتلها ولا شك . فليقدم أحد أبناء هرقليس نفسه

فارتفع من بين الجمع ذلك الصوت الرخيم الذى تكلم منذ هزيمة من وراء نسطور وقال : أنا أقدم نفسى ! فقال له الكاهن في لهجة قاسية : « من أنت ؟ وماذا تسعى ؟ » فأجاب الغلام : « أنا ابن هرقليس واسمى إكسوس »

فانفجر الناس بأصوات الدهش لهذا الجواب المفاجئ ؛ ثم قال قائل منهم يتهمكم : « إذا صدق قوله فقد صدق اسمه » وستعلمين يا أختاه أن إكسوس كلمة يونانية معناها العليق ، فكان أبويه عند ما ولد وسماه بهذا الاسم احتقاراً لشكله واستصغاراً لشأنه . والحق أن هذا المخلوق المش يشبه في انتسابه إلى هذا العرق القوى ذلك النبات الطفيل الرخو الذى تمسك به الريح وهو قائم على جذوع السنديان

دلف (تينور) إلى الغلام وقال له بالهجة الحاقق المتوعد : لقد منعناك أن تتبعنا إلى دافى . . . » ولكن ابنة هرقليس التي ظلت إلى تلك الساعة ساكنة ساكنة محتجة ، ألقت نفسها بين الأخوين فقطعت من بينهما الشر ؛ ثم أخذت الصغير من يده وخرجت به من المعبد وهي في صمم عن نداء هيلوس يدعوها إليه ، وفي ذهول عن هتاف الإعجاب الذى انبعث عن يمينها وعن شمالها ، لأن نقابها انحسر من ذات نفسه لسرعة المشى وشدة الحركة ، فبدت مكريا للعيون بارعة الجمال رائمة الحسن لطيفة الروح ، وقد زاد في جمالها تلك الشفقة التي تجلت في صوتها وفي عينيها ،

فسمعت فارعاً يقرع الباب فذهبت أفتحه وفي حشباتي أنى أجد الصيادين والصيد ، ولكنني وجدت عابرسبيل يطلب الدفء والمأوى برهة من الزمن فأدخلته ؛ ثم جلست إلى جانب سريرك ، واشتغل هو بتجفيف ثيابه على نار الموقد . وما كان أشد دهشى حين رأيت نوراً لطيفاً يتلألأ على شعره الأشقر ؛ عزوت ذلك النور بدءاً إلى انعكاس النار التي في الموقد ، ولكن الموقد خبا وغرمة المسافر ماتزال مشرقة ؛ حينئذ أدركت أنه أبولون ، أبولون الذى طرد من الأولم فهم متنكرآ في العالم على وجهه ، ثم بقيت على رغم تنكره بقايا النور من حالته

نحرت جائية أمامه ، وقلت : ماذا تبتنى منى أيها الآله العظيم ؟ فقال : « لا شئ غير المأوى . على أن المطر قد كف والجو قد صفا ، فأنا ذاهب وسأقبلك قبلة الوداع » فتقدمت واجفة القلب ، مضطربة الحواس إلى عمى ، وقدمته من يده إلى مرقدك ، وقلت له : « الأولى أن تلاطف هذا الصبي المسكين فإنه لم يظفر بعد بملاطفة إله . المس وجنته الذابلة فتتضر ، وانفخ في شفته الباردة فتغنى » فتبسم أبولون لرجائى ، ودنا منك فنفت في فك من روحه ، ولكن نفثته كانت قوية مضطربة ، فسرت إلى قلبك فأفعمته وأشعلته ؛ من أجل ذلك كان قلبك يحترق ولا يفتر عن الوجيب ؛ ومن أجل ذلك كان جسمك يذوى وروحك لا تستجيب ... وهأنذا وقفك على جاية الأمر فهل تصفح عني ؟

فما كان جواب إكسوس إلا أن قبل أخته ، فقالت له : « إن برهان عفوك عني أن تنقادى

عليل الجسم مبذوء الهيئة ، إكسوس الذى لا يخطو في البيت خطوة إلا بإتسامة من مكربا تبدد بؤسه وتجدد أنسه ، فإذا غابت عن الدار غاب عنه الأنس واستوات عليه الوحشة

كان ينظر إلى الزهور الرمزية والدمع يجول في عينه ، والهم يمتلج في صدره ، والألم الممض يرتسم على أمرار وجهه ، فاستطير فؤاد أخته من الخوف عليه ، لأنها تعودت أن تراه يشكو ويتألم منذ اثني عشر عاماً ، فلم تجده يوماً على مثل هذه الحال من الكمد الملقن واللاوعة الأليمة ، فأقبات عليه تهتذر إليه وتسرى عنه وتقول :

— أوه ! اعف عني واغفرلى يا طفلي المسكين !

— أما أعفو عنك وأغفر لك يا مكربا ؟ علام

إذن ؟ والسعادة التي غمرت بها قلبي وعمرت بها وجودي ؟

— لا تشكرلى عنايتى بك ؛ ذلك دين

أفضيه ذلك تكفير أؤديه

فانبعثت من عين الفتى المشدوه نظرات صارعة تسأل أخته حل هذا اللغز . فقالت له : سممك إلى ؛ منذ أربع سنين (كان عمرك يومئذ ثمانى سنوات وعمرى أربع عشرة) جرت في أسرتنا حوادث عجيبة وأمور خارقة لم يصل علمها بأبى ولا بأخوتى . لعلك تذكر ذلك الكوخ الذى بنوه على شاطئ البحر ليختفوا فيه من أعين المضطهدين الكثيرين الأقوياء . كنت فيه ذات مساء وكان أبى وإخوتى في الصيد ، وكنت أنت منهوك القوى من كثرة ماجريت في الغابة طول النهار ، فاستسلمت على مهددة المطر والريح لنوم ثقيل ؛ وكان الليل قد أقبل منذ حين وأبى وإخوتى لم يقبلوا بمد ،

صالحاً لشيء .. تعلم إقامة التماثيل وشيادة الهياكل
فلعلنا نصير يوماً آلهة » فحاولت أن ألبى مبتغى
إخوتي ، ولكن الأزميل والنحت كانا ثقيلين على
يدي ؛ ثم كانت هناك رؤى غريبة تطوف بيني وبين
جنادل (باروس) وكانت إسبى الناحلة الذاهلة تخط
في التراب اسمها لا تخط غيره : اسم أختي الحبيبة مكريا
افتتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٣ —

حينئذ قال لي إخوتي : « إن في مضيفنا شيخاً
من شيوخ السكدان يقرأ في صفحة السماء أسرار
الغيب وأنباء المستقبل ، فاستمع إليه ، وثقف عليه ،
ثم قل لنا أرى في مطاوي السحب كنوزاً أو نصراً »
فسمعت من الشيخ ؛ ثم قضيت ليالي طويلة أُرصد
النجوم والغيوم فلا أرى كنوزاً ولا نصراً . إنما
كنت أرى عيون السماء تنظر إلى نظر الحب ،
كانها عيون مكريا ...

افتتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٤ —

حينئذ قال لي إخوتي : « خذ قوساً ونشاباً
واخرج إلى الصيد في الغاب » فجُيْتُ الغاب
بقوسى ونشابى ، ثم لم ألبث أن نسيت إخوتي
وذهات عن صيدى . وبينما كنت أسمع غناء الرياح
وتغريد البلابل أقبلت ظبية فأكلت طعامى من
جيبى ، ثم جاء طائر صغير أعياه طول العا-يران
فنام في كنانتي ، فعملته إلى مكريا

افتتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

وتسمع منى ؛ قل يا قليل الحكمة بأى معجزة
تجوت من الموت جوعاً وظمأً في طريقك الطويل
من أتيننا إلى دافى ؟

فقال إكسوس : أوه ! كنت من الصباح إلى
المساء أسترجع النشاط بالغناء ، وأستفتح الأبواب
بالنشيد ، فكما داني الدخان على ولية في أحد
البيوت طرقت الباب وأنشدت الأغنية فيفتح لي
أهله وينزلونني خير منزل

فتبسمت مكريا وقالت : أغنية مجيبة ! هل
لك أن تعلمنيها يا إكسوس حتى أغنيها أنا أيضاً
في ذهابي إلى دافى أو إلى الأوب ؟

فتمنع إكسوس وتدل على عادة المغنين في كل
عصر ، ثم نزل على مشيئة أخته بعد رجاء قليل

أغنية إكسوس

افتتحوا : أنا إكسوس المسكين ، أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت
منذ اثني عشر عاماً سقط قزم من جلد الأسد
الذى يتسكبه هرقليس ، فكنت أنا ذاك القزم ؛
كان أبى لا يحبني لأننى كنت صغير الجثة رقيق
البدن ، وحينما كنت أصطدم بركبتيه وأما طفل
كنت أسمع فوق رأسى زججرة كزججرة العاصفة ؛
وكان إخوتي يضربونني كلما دعوتهم إخوتي ! ومع
ذلك أريد أن أعيش لأن لي أختاً تحبني وتحنو على ،
هى الجميلة الكريمة مكريا !

افتتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٢ —

قال لي إخوتي ذات يوم : « اجتهد أن تكون

- ٥ -

ورءوسهم مرفوعة من العزة ، ثم جرت الراسم
المألوفة وهي لا تختلف عما رأيناه في داني ؛ وأقبل
كاهن من كهنة (مينرثا) فأجال الأسماء في
الصندوق ، ثم تقدم طفل ممصوب العينين إلى
الأناء المقدس يستخرج منه حكم الموت ، فلم تكبد
يده تلمس حافته حتى دوى على عتبة المبد صوت
امرأة يقول : « قف ! ها كم الضحية . . »

وكان ذلك الصوت صوت مكربا وهي تتقدم إلى
المذبح كاسفة اللون ، كاملة الأهبة ، تنوس على
جبينها الأزهر الجليل عصابة الذبيحة . فداف إليها
أيجسط وقال : أهنا أنت يا أختاه ! لقد وعدتني أن
تتخافى لتقوى على سربر إكسوس . فقالت وهي
تغالب الدمع ونحبس الزفرة : إن إكسوس مات !
وليس الآن ما يمنى أن أفديكم بنفسى . ثم قابت
سيرها البطيء إلى الهيكل بين تصفيق الجمع وإذعان
الاخوة ، ثم جثت مكربا أمام المذبح ، وعوقت
بالإشارة مدية الذابح المجلان حتى ناقى على اخوتها
ابتسامها الأخير ؛ ثم أغمضت عينها ، وأزاحت
الغطاء عن ثديها ، وكانت بعد دقيقة تبين جسداً
يضطرب على مذبح الهيكل !

ثم أضرمو النار ، وجملوا منها لإكسوس
ومكربا محرقة واحدة ؛ وعندئذ رأى الناس شيئاً
يصعد من الهيب إلى السماء ، رفات الأجنحة ناصع
الريش رائع الرواء !

وهكذا كانت الفضيلة (مكربا) في المصور
الحوالى تكفل الشعر (اكسوس) وتلهمه . والفضيلة
والشعر أجل ما في الحياة وأنبى ما في الانسان
(الزبات)

حينئذ قال لى إخوتى : « إنك لا تصلح لشيء . »
ثم ضربونى ، ولكننى لم أبك ، لأن فكرى كان
مشغولاً بأختى ! وغداً سيأخذون منى مكربا ! وغداً
ستسأل وهي جالسة في حفلة الزفاف : ما هذا الدخان
الذى يسطع هناك وراء النار ؟ فيجيبها المدعوون
« لا شيء »

« إنها محرقة إكسوس المسكين ، عليقة
السنديانة التى عصفت بها الريح فجعلتها كالريم »
فصاحت الفتاة وقد ملكها الحنان وأدركها
الجزع : كلا إنك ستميش ! وسأجملك فى قلبى ،
حتى إذا ثارت العواصف الهوج لا يمسك منها
أذى . إن (ليكوس) سعيد محبوب ، وعذارى أثينا
كثيرات بفتحن له دورهن وصدورهن . أما أنت
أيها الفريد الشريد الموجه ، فإليك وحدك كل
أبى وأحلامى وحبى !

« خذ يا أختى ، خذ يا شاعرى ! هذا ثمن
أغنيتك » ثم زعت من فوق جبينها الأبلج إكليل
الزفاف وألقته مبللا بالدمع تحت قدمى إكسوس !
فأراد إكسوس أن يجيب ، ولكن التأثر المفاجئ
صمق الصبي المسكين فلم يستطع إلا أن يقول بصوت
خافت . أوه ! ثم وضع يده على قلبه وخر مغشياً
عليه ! ثم بات طول الليل يتضور من شدة الحمى ،
وأخته بجانبه لا يغمض لها جفن ، ولا يرقأ
لعينها دمع

وكان الغد موعد أبناء هرقليلس إلى المبد
ليقترعوا هناك على الضحية ، فتقدموا إلى الهيكل
كما يتقدمون إلى المعركة : قلوبهم فارغة من الهم ،

من قصص الحياة

المثال



اقصصة فرنسية بقلم الأستاذ ابن عبد الملك

كان الزوجان يسيران على هذه الحال لا يتبادلان الكلام ولا النظر، حتى قالت الزوجة :
 - لنقف هنا قليلا . فوقفا ، وتقدم الخادم
 إلى الرسام بكرسي صغير من القماش فقمع عليه .
 وكان كل من صر بالزوجين الساكنين الساكنتين
 يلقى عليهما نظرة حنان وحزن ، فقد اضطربت
 الألسنة بأن حادثا من حوادث الاخلاص والتضحية
 وقع بينهما ، إذ تزوج الشاب منها على الرغم من
 عاهتها المزمنة تأثرا من حبها إياه كما يقال . فقال
 رجل لآخر وكانا جالسين على مقعدين يجعلان
 نظريهما في الفضاء :

- كلا ، ليس هذا صحيحا . أنا أعرف
 جان سومير جد المعرفة
 - إذن لماذا تزوجها ؟ فقد كانت حين الزواج
 على هذه العاهة ! أليس كذلك ؟
 - نعم هو كذلك ؛ ولكنه تزوجها .
 تزوجها كما يتزوج الناس حقا وسفاهة
 - وبعد ؟

- وبعد ؟ ليس هناك بعد ولا قبل يا صديق .
 الانسان أحق لأنه أحق . وأنت تعلم من خصائص
 الرسامين الزواج المضحك ، فهم يتزوجون على
 التقريب كل الأمثلة (modèles) ؛ وقد يتزوجون من

كانت مدينة (أربتا) ذات الصخر الأشهب
 والحصى الأبيض والبحر الأزرق تستريح تحت
 الشمس الصاحية ، في يوم من أيام يوليو الصاحية .
 وكان منظرها العام أشبه بالهلال قد انتهى طرفا
 استدارته يباين أحدهما صغير وهو الأيمن ، والثاني
 كبير وهو الأيسر ، ثم تقدما في الماء الساكن
 نفوخ كلاهما فيه ، وارتفعت قمته حتى بلغت
 مستوى الصخور . وكان قد جالس على شاطئها
 المديد جماعة من المصطافين ينظرون إلى المستحمين ،
 واحتشد على مشرف السكازينو جماعة أخرى قائمة
 أو قاعدة تعرض تحت أضواء الشمس المشرقة جنة
 مزهرة من الزينة تسطح في خلالها المظلات الحجر
 والزرق مطرزة بأزهار الحرير الملون . وانزل في
 آخر المشرف على طريق النزهة فريق آخر من
 المصطافين يبدون السكون وينشدون الراحة ، فوقفوا
 خطام الوثيدة على أنغام الموج بعيدا عن زحمة
 الأجسام وضجة الأصوات . وكان بين هؤلاء شاب
 معروف نابه هو الرسام جان سومير . كان يمشي
 ساها واجبا بجانب عربية صغيرة من عربات المقعدين
 يدفعها الخادم في هون ورفق ، وقد جلست في هذه
 العربية زوجته وهي فتاة في ريق العمر تسرح النظر
 الحزين في جمال السماء وزينة الأرض وبهجة الناس

مما ، لأن في طبيعتهم أن يكن صادقات كاذبات على أشد ما يكون الصدق والكذب ، أو لا يكن على شيء منهما أصلاً

أنظر الى الوسائل التي يتوصل بها أكرم النساء ليلابن منا ما يردن ، تجدها وسائل ممقدة وساذجة ؛ فهي ممقدة بحيث لم تقع في حدسنا من قبل ، وساذجة بحيث تراها بعد أن نصبح من ضحاياها لا يسمنا إلا أن تعجب منها ونقول : « كيف ! لقد خدعتني بحمق وغباوة » . ثم إنهن ينجحن دائماً يا عزيزي ، وعلى الأخص إذا تعلق الأمر بزواجهن . وهاك قصة السيد جان سومير :

كانت الفتاة مثلاً كما علمت ؛ فكانت تجلس في مرسمة على الأوضاع التي يريدها ؛ وهي بارعة الشكل ظريفة الطبع رشيقة القوام ، فمسةما كما يمشق الانسان كل فتاة على مثالها في الجلال والفتنة ؛ ثم تخيل أن حبها قد أخذ بمجامع قلبه . وهناك ظاهرة غريبة : اذا مارغب الانسان امرأة ظن مخلصاً أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها بقية عمره ، ولكنه متى ملكها زهد بها ، وإن تستطيع الشهوة البهيمية أن تمسكه بحانها طول الحياة ، فلا بد من شيء آخر هو توافق النفس والطبع والمزاج . ومن واجب الرجل أن ينظر حين تفتنه المرأة : أهذه الفتنة صادرة عن إغراء الجسم ، أم عن جاذبية الروح . وقصارى الكلام أنه أحبها أو ظن ذلك ، فمأهدها على الاخلاص وواعدها على الوفاء ، ثم عاس هو وهي على هذا الأمل . وفي الحق كانت الفتاة ظريفة ، وزاد في ظرفها تلك الغباوة اللطيفة التي تنصف بها الباريسيات الصغيرات ؛ فهي تثرثر وتهذر وتنطق بالحماقات التي تجعلها الطريقة القريبة التي تلقى بها

الحديثات المجائر ، ومن السيدات المعوهات لأي سبب من الأسباب ؟ لماذا ؟ لا يعلم أحد لماذا ؟ يخيل إلى على العكس بأن طول معاشرتهم لهذا النوع من النساء الفواجر اللاتي يسميهن الناس (أمثلة) جعلهم يمافون جنس الأنثى ، فانهم بعد أن يجاسوهن ليرسموا صورهم على مثالهن يتزوجونهن . اقرأ الكتيب الصادق القاسى الجليل الذى ألفه الفونس دوديه بعنوان (نساء الفنانين)

أما الزوجان اللذان تراهما ، فان الحادث الذى وقع بينهما وقع على صورة خاصة وحال فظيمة لقد مثلت هذه الفتاة مهزلة ، أو بالحري مثلت مأساة أليمة . لقد قامرت بكل ما تملك لتربح كل شيء أو تخسر كل شيء . هل كانت مخلصه ؟ هل كانت تحب جان ؟ لا يدري ذلك إلا الله . ومن ذا الذى يستطيع أن يحدد تحديداً قاطعاً ما فى عمل المرأة من زور وحق ؟ إنهن مخلصات دائماً فى ما يبدو عليهن من آثار انفعالاتهن ومظاهر عواطفهن . فهن ساخطات بجرمات مخلصات كريمات لثبات على حسب ما يجرى فى شعورهن من البواعث والآثار . وهن لا يفترن عن الكذب من غير أن يردن ولا يعلمن ولا يفهمن . وفيهن مع ذلك وعلى رغم ذلك صراحة مطلقة فى الأحاسيس والعواطف اللاتي يظهرنها بأحكام وحلول عنيفة غير متوقعة ولا مفهومة ، تضلل منطقنا فى الرأى والحكم ، وعادتنا فى التمديد والتوفيق . فالماجأة والعنف فى غريباتهن يجملانهن ألفاظاً لا تحمل ، فنحن لا نبرح نسأل هذا السؤال : « هل هن صادقات ؟ » « هل هن كاذبات ؟ »

واسكنهن يا صديقي صادقات كاذبات فى وقت

أشبهه بالبراعات الذهنية ؛ وكان لها في كل لحظة حركات تتن بها عين الرسام : فهي حين ترفع ذراعيها ، وحين تبسط يديها ، وحين تنحني ، وحين تركب العربية ، تترك حركات محكمة مقدرة مناسبة . وفي غضون ثلاثة أشهر لم يلاحظ جان أنها في حقيقة أمرها تشابه سائر (الأمثلة) ، فاستأجر بيتاً صغيراً في (أندريسي) ليقضيا فيه الصيف . وكنت هناك ذات ليلة حين أخذت الهموم الأولى تنبت في قلب صديق ؛ وكانت تلك الليلة قراء ، فأردنا أن نجول جولة على ضفة النهر ، وكان القمر يرسل على الماء المرتد وابلاً من الضوء ، ويكسر أشعته الصفراء على دارات الماء وتيار اللج وعباب النهر البطيء الهارب كنا نسير على طول الشاطئ نشاوي من ذلك الطرب المبهم الذي تبعثه فينا هذه الليالي الحاملة ؛ وكانت نفوسنا مهيأة لأعمال فوق أعمال البشر ، وقلوبنا مفتحة لحب كواثر شمعية مجهولة ؛ وكنا نشعر بالجذبات والرغبات والأمانى تحتاج في نفوسنا ، فلزمنا الصمت مفتونين بصفاء السماء وطراءة الليلة الجميلة ، وعذوبة البحر التي خيل إلينا أنها نفذت إلى الجسم وغمرت الدهن وعطرته وغمسته في السعادة

وعلى حين بغتة صاحت جوزفين (وهو اسم الفتاة) قائلة :

— هل رأيت السمكة الكبيرة التي وثبت هناك ؟

فأجاب جان من دون أن ينظر أو يعلم :

— نعم يا عزيزتي

فقلت مغضبة :

— كلا إنك لم ترها ، لأن ظهرك كان إليها فابتسم وقال : نعم هذا صحيح ، فان الجو قد

استولى بجباله على فلم أفكر في غيره
فأمسكت عن الكلام ، ولكن شهوة الحديث
ملكها بعد لحظة فسألت جان :

— أذهب أنت غداً إلى باريس ؟

فأجابها :

— لا أعلم

فعاودها الغضب ، وقالت :

لعلك ترى مما بهيج نفسك أن تنزه وأنت صامت . إن الانسان إنسان لأنه يتكلم ، فلم يجب على قولها بشيء . وفطنت هي بفضل غريزة السكر فيها إلى أنها ستحنقه ، فأخذت تنفي ذلك اللحن المثير الذي آذى الآذان والأذهان منذ عامين ، ومطلعه : كنت أنظر في الفضاء ... فقال لها منعماً :

— اسكتي من فضلك ؛ فقالت له محتدة :

— ولماذا تريد أن أسكت ؟ فأجابها :

إنك تفسدين علينا المنظر

هنا حدث المشهد الكريه السفيف بمتابه المفاجئ وحسابه المتسلسر ، فاحتقنت الوجوه وانهمرت الأعين ، ثم عادا الى البيت . وكان جان قد تركها تمضي في ثورتها لا يدفع ولا يهاجم ، لأنه كان مخدر الأعصاب بنشوة هذه الليلة الملوية التي هبطت بها إلى الأرض هذه العاصفة الهوجاء

ومضت بعد ذلك ثلاثة أشهر ، كان الفتى يضطرب اضطراب القنيص في هذه العلاقة القوية الخفية التي تربطنا بها العادة في مثل هذه الحالة . كانت الفتاة لا تنفك ترهقه إرهاب المصطهد ، وتمذهبه عذاب الشهيد ، فصار يومها وليامها شجاراً متصلاً لا يخلو من سباب وضرب وأخيراً صمم على أن تنتهي هذه الحال على أي

وجه وبأى ثمن . فباع رسومه واقترض من أصدقائه بعض المال حتى حصل في يده عشرون ألف فرنك فوضعهما ذات صباح على الدفأة ومعهما كتاب الوداع وترك لها المنزل ولجأ إلى بيتي

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر قرع الباب ، فذهبت أفتحه فإذا هي في وجهي لا تكاد تملك نفسها من الحنق والقلق ، فارتبكت أنا ، ودخلت هي ، ورآها هو من بعيد فوقف حتى أقبلت عليه ورمت بين قدميه الغلاف وفيه الأوراق المالية . وقالت في هيئة نبيلة ولهجة موجزة : هاك نقودك . لا حاجة لي بها . وكانت حينئذ ممتعة اللون مضطربة البال حرية بأن تأني كل حماقة ؛ وكان هو كذلك كاسف الوجه محنق الصدر حريا أن يرتكب كل شدة ، فسألها : ماذا تريدن ؟ فقالت : لا أريد أن تعاملني معاملة البغي ، لقد توسلت إلى حتى سكنت إليك ، فأنا لا أطلب إلا أن تبقىني عندك

فضرب الأرض برجله وقال منفعلا :

لا ، هذا كثير . إذا كنت تظنين أنك ... فحذبه أنا من يده وقلت له : دعني يا جان أفعل . ثم تقدمت إليها وأخذت أكرس من غضبها بكل ما عليه الخاطر في مثل هذه الحال ، وهي تستمع إلى جامدة شاخصة صامتة مصرة . فلما فرغت جسمتي والحال لا يزال على أشده ، لجأت إلى آخر الحيل فقلت : إنه لا يزال على حبك يا صغيرتي ، ولكن أسرته تريد أن تزوجه ، وأنت تعلمين ... فأخذتها رجفة قوية وقالت :

— آه .. آه ! لقد فهمت الآن ! ثم التفتت إليه وقالت : تبني أن تزوج ؟ فأجابها في شدة وحزم : — نعم . نخطت إليه خطوة وقالت :

إذا تزوجت قتلت نفسي . أسمع ؟
فهز كتفيه وقال : حسن ! اقتلي نفسك ! فنبتست بكامة أو كلمتين وقد أخذ يكظمها الهم القاتل :
أقول ؟ .. أقول ؟ .. أقول ؟ .. أعد ! فقال معيدا :
اقتلي نفسك إذا كان هذا يسرك ! فقالت وشحوبها يزداد وحالها تسوء : لست في حاجة إلى التحدي ، سألقى بنفسي من النافذة . فضحك جان بملء فيه ومضى إلى النافذة ففتحها ، ثم حيا وانحنى ، كمن يريد أن يقدم عليه غيره في المشي ، وقال : هذا هو الطريق ! تفضل ! فثبتت فيه نظرها الحائر الطائر لحظة ، ثم جمعت نفسها كمن يريد أن يقفز سياجا في حقل ، ومرت أمامه وأمامي إلى النافذة ثم اختفت !

لا أنسى ما حييت ذلك الأثر الذي أحدثته في نفسي هذه النافذة المفتوحة ، وقد هوى منها ذلك الجسم ! لقد رأيتها في تلك اللحظة واسعة كالسواء فارغة كالفضاء ، فرجمت القهقري ، ولم أجروا على النظر كأنني خشيت أن أسقط . وتبدل جان فلم يستطع الحراك ولا النظر ؛ وتسابق الناس فأتوا بالفتاة مكسورة الساقين ، فلم تمش على قدميها بعد اليوم . وتقدم حبيبتها مبلبل الصدر من وخز الضمير ، منفعل النفس من اخلاص الفتاة ؛ فأواها إليه وتزوج منها

ذلك يا عزيزي حديث هذين الزوجين

وأقبل المساء ، فرغبت الفتاة في المودة خشية البرد ، فأخذ الخادم يدفع عربة الكسيحة نحو القرية ؛ ومشى الرسام بجانب امرأته وقد مضت عليهما ساعة من الزمان لا اللسان يخاطب اللسان ، ولا النظر يبادل النظر . (جى رى مرساها)



يَوْمِيَّانَا فِي الْإِرَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢٠ أكتوبر ...

قمت في الصباح بمجرد خزينة المحكمة . فالنيابة هي التي من شأنها مرافقة الخزينة ، وعليها أن تقوم بهذا الجرد مرتين على الأقل في كل شهر بطريق المفاجأة . ويظهر أن كلمة « المفاجأة » وضعت في اللوائح والتعايانات من قبيل التشويق كما توضع في الاعلانات ، فهي في العمل لا وجود لها . وقد جرت العادة أن ينسى وكيل النيابة لكثرة مشاغله هذا الجرد فلا يذكره إلا الصراف المقصود مفاجأة . فهو الذي يطالب في إلحاح حضور البك الوكيل للجرد حتى يسدد الخانة طبقاً للقانون . وفي أكثر الأحيان لا يشعر وكيل النيابة إلا وقد فوجيء هو بالدفتر الخاص بالخزينة بمرض عليه مع المحضر محرراً باسمه « نحن فلان وكيل النيابة قمنا اليوم بجرد الخزينة ، فوجدناها كذا أوراقاً مالية وكذا فضة وكذا أشياء ثمينة وكذا أمانات » فيوقع وهو لم يتحرك من كرسيه وهو يقول : « خذوا إمضاء وخلوا عني بلا وجع دماغ » . غير أني أنا شخصياً أنتقل بالفعل وأشهد الخزينة وإن كنت أوقع آخر الأمر على كل حال دون أن أطيق

صبراً على عدد النقود التي توضع أمامي . وانتهيت من هذه المأمورية ، وعرجت على مخزن النيابة في طريقي أفقشه « بالرة » وهو عبارة عن حجرة تشبه دكان « ألف صنف » فيها من أصناف البنادق والغدارات الريفية والسكاكين والشرائر والمناجل والفؤوس والبائط والنباييت والهرارات و « اللبد » و « البلغ » و « الجلايب » المملوطة بالدم والطين و « الصداري » المثقوبة بالرش والبارود ؛ كل عليه رقمه وتاريخ ضبطه ورقم القضية التي ضبط على ذمتها . وعندى أن نظرة واحدة تلقى على مخزن نيابة أي بلد تدل في الحال على لون هذا البلد وعقليته ودرجة حضارته . ولا شك عندى في أن مخزن نيابة « شيكاغو » مثلاً لا يمكن أن يحوى مطلقاً هراوة أو شرشرة . وصعدت بعد ذلك إلى مكنتي ، فوجدت حفرة القاضي : « المقيم » في الانتظار وقد أحضر له الفراش القهوة . فما كاد يراني حتى صاح :

— خلاص ، الفوضى دبت في البلد !

فأردت أن أفتح في أسأله الإفصاح ؛ فلم يمهي
ومضى بقول :

— راحت هيئة الأحكام !

— إيه المسألة ؟

— المسألة ياسيدى أنى أصدرت حكماً مدنياً
ضد عمدة من الموالين للحكومة وراح المحضر ينفذ
عليه ، تعرف حصل إيه ؟
— لا

— انضرب بمعرفة العمدة « علقمة » لكن
« نضيفه » وانحبس أربعة وعشرين ساعة فى حجرة
التأديفون

— والمركز عمل لها قضية ؟

— أبداً . ما هي هنا الخطورة . لا قضية
ولا مذكرة ، نحكوا على المحضر وقالوا له يسحب
شكواه وصرفوها

— ما داموا صرفوها انتهينا

— انتهينا ازاي ؟ أنا لا يمكنى أسكت عن
مسألة زى دى . دا اسمه إجرام ! البوليس يجرم ...

— يظهر أن حضرتك اشتقت لحر وجه قبلى

— ينقلوا قاضى وجه قبلى لأنه أراد منع المركز

من العبث ... ؟

— عملوها كثير . وسبق نقلوا قاضى أقاصى

الصعيد لأنه أفرج فى قضية معارضة عن متظاهرين
ضد الحكومة ، مع أن هذا القاضى كان من
المحايدين البعيدين عن الأحزاب وعن السياسة .
ولا يخفى أن بينك وبين الأمور سوء تفاهم عالى .

وساعتها تلقى الأمور حرر التقارير السرية عنك
واتهمك بأنك من خصوم الحكومة ، وأنك من
أرباب الفتن والدسائس ، وأنك تضطهد أنصار

الوزارة ، وأنك خطر على سياستها الحاضرة إلى آخر
هذا الأسلوب المعروف

— شئ جميل . البوليس يحرق التقارير السرية
ضد القضاة ؟ !

— حصل

— والعمل إيه ؟

— اترك لي المسألة . أنا أتحرى من المركز
بلطف وأجرى اللازم ...

— لهذا الحد تعبت السياسة عندما بالمعدلة
والنظام والأخلاق ، أعوذ بالله ! شئ مخيف ... !
وجعل يهز رأسه أسفاً وحنقاً . ثم التفت إلى
جفأة وقال :

— دا صحيح . تصور أن فضيلة القاضى
الشرعى « الضلالى » عامل اليوم أنه صديق الأمور
الحليم مع أنه كان يكرهه كراهة التحريم من بعد
حادثة الأجزاء !

فأبدت عجبى . إني حقيقة كنت قد سمعت من
المأمور فيما سمعت من أخبار القاضى الشرعى هذه
الحادثة : إن أهالى البلد وأعيانها لاحظوا افتقار
البلد إلى أجزاء « أصولية » تغنيهم عن البنادق
الكبيرة فاكثبتوا فيما بينهم بمبالغ أسسوا بها
أجزاء نظيفة كاملة الأدوات ، وعينوا لها
« أجزجى » قانونى هو رجل سورى اسمه « جبور »
ثم تباحثوا فيمن يصلح مشرفاً على مالية هذه
الأجزاء وعلى إدارتها ، ووقع الاختيار فى آخر
الأمور على فضيلة القاضى الشرعى . ومن غير فضيائه
بلحيته الوقورة وسبحته الطويلة يؤتمن فى هذه
البلدة على أموال المسلمين وغير المسلمين من المساهمين ؟
ووافق المأمور على تنصيب القاضى الشرعى مشرفاً

جبور أن يكسر ساق القاضي إذا حضر إلى
الأجزاء بعد ذلك . واستغاث بالمأمور ، وعرض
عليه ما وصلت إليه حالة الأجزاء . فإذا هي
موشكة على الإفلاس ، فقد اختفت مستحضراتها
ونضبت مواردها ، ولم يبق أمل في بقائها ؛ فان
الأجزى هو الآخر إقتداء بفضيلة المشرف الوقور
لم يقصر في الاجهاز من جهته على الباقي من
« الدرج » والبضاعة والأدوات ، وتنظيم المأمور
وصاح في الأعيان المساهمين :

— الحق علينا الى صدقنا اللحية والسبحة !
ومنذ ذلك اليوم والمأمور دائم التشهير بالقاضي
الشرعى قائلاً عنه : « الرجل الضاللى » . والقاضي
الشرعى من جهته دائم النيل من المأمور قائلاً عنه :
« الرجل الزنديق لاعب الميسر »

ولكن السياسة قد جمات رجال الادارة
اليوم أصحاب سلطة مخيفة . وقد خشى فضيلته على
نفسه ، ورأى بحكمته أن الأمان في مصاحبة المأمور .

فهل يحجم عن التقرب إليه والتزلف له ؟
مر بخاطري كل ذلك وأنا جالس وأمامي القاضي

الأهلى ، ولم أتمالك فقلت كالحطاب لنفسى :

— لا بأس من الصالح ، لكن في الظروف

الحاضرة ... فيه شيء اسمه كرامة ...

فرفع القاضي يده في حركة ذات معنى وقال :

— كرامة مين « يا مونشير » !

ونفض يريد الانصراف وهو يميل على ويقول

بصوت منخفض :

— كلام في شرك . في يوم حضر الى بيتي

فلاح ومعه خروف وقال « الهدية » . فقلت له :

« هدية إيه يا رجل » ؟ فقال : « الهدية اللى تم

وتكرم فضيلته وتسلم مهام عمله بأن جعل مجلسه
عصر كل يوم أمام باب الأجزاء حيث ينتجح
ويبدأ باسم الله والصلاة على نبيه وآله وصحبه .
ثم يصيح :

— ياخواجه جبور . القهوه والشيشة !

ثم يجتمع عليه من أصدقائه وأقاربه الآتين
من الكفور عدد كثير كل يوم ، فيأمر لهم بالقهوه
أو الشاي . وكل هذه الطلبات طبعاً على حساب
الأجزاء ، وهو لا ينسى مطلقاً أن يلقى نظرة على
مستحضرات المحل قبل انصرافه وهو يقول لجبور :

— عندك صابون ممسك من العمال ! زجاجة

« الريحة » « الكلونيا » دى لا بأس بها ! ..

ولا يكاد يدخل فضيلته منزله حتى تكون هذه

البضاعة التى أعجبتته قد سبقته إلى البيت . ويجلس

أحياناً أطفاله إلى جواره يباب الأجزاء أو يتركهم

يامبون حوله . فإذا جاءوا أو بكوا صاح القاضي في

الأجزى القانونى :

— ياخواجه جبور ! هات الأولاد كم قرص
نعناع من عندك !

ويحتاج فضيلة المشرف إلى بعض المال في بعض

الأحيان فيقول للأجزى :

— هات من « الدرج » أربع « برايز »

وتمر بائمة دجاج فيشتري منها فضيلته « زوجين »

« عتاق » ويصيح في الأجزى داخل الأجزاء :

— ادفع لها من « الدرج » ياخواجه جبور

وضاق ذرع الأجزى جبور آخر الأمر .

فصاح في القاضي ذات يوم :

الدرج ! الدرج ! شوها المما بها الدرج !
ونشب الشجار بين المشرف والأجزى . وأقسم

— طوّل بالك ، انت يظهر عليك إنك مش عارفنى . والله لا بد من انى ...
فقاطمه العمدة مستعظفاً :

— أنا رجل غلبان ...
فمضى الأمور فى وعيده :
— انتظر ! إن ما كنت أدخلك البرلمان ،
ما أقاش أنا مأمور المركز !

— ليه أنا عملت إيه بس تدخلنى البرلمان !
قالها الرجل فى توسل وارتياح . فضحكت
وعجبت . والتفت إلى المأمور قائلاً :

— كشوف الانتخابات فى جيبه ومش عارف
البرلمان ده يبقى إيه . أم عمدة نشغل معهم !!
ثم عاد المأمور والتفت إلى الرجل قائلاً :

— تفضل من غير مطرود !
نخرج العمدة ذليلاً كأنه خادم أو مجرم ، وقالت
فى نفسى هذه الذلة التى يذوقها فى حضرة رجال
الادارة لن تذهب سدى ، فهو سيذيقها بعينها
لأهالى القرية التى يحكمها ، فان كأس الاذلال تنتقل
من يد الرئيس إلى الرؤوس فى هذا البلد حتى تصل
فى نهاية الأمر إلى جوف الشعب المسكين يجرعها
دفعه واحدة

وجلس إلى المأمور يعرف سبب « تشريفى »
المركز بالزيارة ، فأخبرته أنه « الشوق » ، فابتسم
المأمور ابتسامة غير المؤمن بهذا السبب الأفلاطونى ،
ولم أصر كثيراً على كلمتى ، وقالت فى هيئة الجدة :
— بانك يا حضرة المأمور أن أحد المحضرين

ضربوه وحبسوه أثناء تأدية وظيفته ؟

— فأجاب من فوره :

— ما عنديش خبر

عليها الانفاق علشان رد الولاية امرانى » . ففهمت
وقلت له فى الحال : « انت يا رجل غلظت فى البيت
انت قصدك القاضى الشرعى » !!

فلم أبد دهشة كبرى وأطرقت برأسى . وسكت
القاضى محدثى قايلاً . ثم تحرك نحو باب الحجرة
وحيانى بيده تحية مختصرة وذهب . وجاست
وحدى قليلاً أفكر فى كل ذلك . ورأيت أن أقوم
الى المركز فى شبه زيارة خاصة لاستطلع من المأمور
عما أخبرنى به القاضى . فانطلقت بمفردى وخافى
حاجبى حتى بلغت حجرة المأمور ، فوجدته فى
هذه المرة أيضاً مع أحد العمدة يحادثه فى شبه عنف
ولم تكن سيما هذا العمدة تنم عن يسر ولا عن وقار ،
ويخيل إلى أنه من أجلاف العمدة . « فالعمدة
كالجرادة » يتخذ شكل الأرض التى يولد فيها .
فالأرض الخضراء تخرج الجراد الأخضر ، والأرض
الصحراء تخرج الجراد الأغبر . وهذا العمدة الأغبر
لا شك من بلاد قاصية فقيرة على حدود المركز
قريبة من الصحارى . وسلمت على المأمور وقالت
له باسم :

— دائماً مع العمدة !

فقال فى نبرة تعب :

— نعمل إيه ياسيدى !

ثم أجلسنى وطاب لى القهوة . إذ على الرغم من
اعتكافى عنه وعن ناديه ، فهو يحترمنى ولا يحمل
لى ما يحمله لغيرى من الضغن . فانى حريص دائماً
مع رجال الادارة على تنفيذ أوامرى فى مظهر بسيط
لا يشمرهم بغضاضة الأمر . واستأذنى المأمور فى
إتمام حديثه مع العمدة لينتهى من شأنه ويتفرغ لى
فأذنت له . فالتفت الى الرجل وقال له فى صياح وتهديد :

— حصل تبليغ المركز ؟

— لو كان حصل كنا ضبطنا لها واقعة وعملنا

قضية

— بالتأكيد

وأطرقت قايلاً ، وفكر الأمور لحظة ثم قال :

— حدث بلغ سمعك بشيء ؟

— لو كان حد بلغني كنت في الحال باثرت

التحقيق

— مؤكداً ؟

— المسألة يظهر أنها مجرد إشاعة

فانطلق الأمور يقول :

— هي وحياتك إشاعة ، خارجة من بطن

الحكمة انشويه سممة المركز ، وأنت لا يخفك أن

حضرة القاضي « طاع فيها » وغرضه يشنع علينا

بأي طريقة . . .

وأراد الأمور أن يستترسل ، فبادرت بإغلاق

هذا الباب حتى لا أزج بنفسي في هذا الشجار

القائم بينهما . حسبي أني أفهمت الأمور من

طرف خفي أني لست بتأفل عن الموضوع ، وأن

لا أحجم عن اتخاذ الاجراء اللازم فيه ، ونهضت

في الحال ، ونهض مني ، وقالت مازحا :

— والانتخابات يا حضرة الأمور . . . ؟

— عال

— ماشية بالاصول ؟

فنظر إلى ملياً ، وقال لي في مزاح كزاحي :

— حاضحك على بعض ؟ ! فيه في الدنيا

انتخابات بالاصول ! !

فضحكت وقلت :

— قصدي بالاصول : مظاهر الاصول

— إن كان على دي اطمئن

ثم سكت قليلاً ، وقال في قوة وخيلاء :

— تصدق بالله ؟ أنا مأمور مركز بالشرف .

أما مش من المأمير اللي انت عارفهم ، أنا لا عمري

أندخل في انتخابات ، ولا عمري أضغط على حرية

الأهالي في الانتخابات ، ولا عمري قلت انتخبوا

هذا وأسقطوا هذا .. أبدا ، أبدا ، أبدا . أنا مبدئي

ترك الناس أحراراً تنتخب كما تشاء . . .

فقاطعت الأمور وأما لا أملك نفسي من

الاعجاب :

— شيء عظيم يا حضرة الأمور ، بس الكلام ده

مش خطر على منصبك ؟ أنت على كده . . أنت

رجل عظيم . . .

فضى الأمور يقول :

— دي دائماً طريقتي في الانتخابات : الحرية

المطابقة ، أترك الناس تنتخب على كيفها ، لغاية

ما تتم عملية الانتخاب ، وبعدن أقوم بكل بساطة

شابل صندوق الأصوات وأرميه في التربة ،

وأروح واضح مطرحة الصندوق اللي احنا موضوعينه

على مهلنا

— شيء جميل !

قلتها في شيء من الاستغراب ممزوج بخيبة

الأمل . ولم أشأ أن أعقب على ما سمعت . ومددت

يدي مسلماً . وخرجت وخرج خلفي الأمور يشيمني

إلى الباب الخارجي ، وإذا بي أرى وأنا أجتاز فناء

المركز مرزومة من الخفراء تتأهب للشحن في

« اللوريات » ، ومن بينهم الشيخ عصفور بأسماله

وعوده الأخضر ؟ فالتفت إلى الأمور أسأله في ذلك ،

فقال وهو يشير بيده إلى الرجال :

ومررت في سيري بجوار الشيخ عصفور
فابتدرته :

— البنت ريم راحت فين ؟
فنظر إلى الرجل شزراً ولم يمن بالرد على .
فأعدت عليه الكرة في شيء من الرفق والاستمطاف
— ريم ياسيدنا الشيخ ، خللى نفسك ويانا
في مسألة البنت ريم !

فهز الرجل رأسه ، ولوح بعموده ، وقال مترنماً :
إيش راح ينوبك
من الشكيان ويفيدك
ايـــــــــــــــــه ما حكمتش
على طيرك وهو في إيدك
فابتسمت وقلت للشيخ عصفور وأنا أشير
بأصبعي إلى المأمور :
— قل لحضرة المأمور ، هو اللي استلم الطير !
(يتبع)
توفيق الحكيم

— أنفاز قائمة لحفظ النظام ساعة إعطاء
الاصوات . . .

— والشيخ عصفور ماله ومال الانتخابات ؟
— مواويله تؤثر على عقول الفلاحين !
— يعني منتدب للدعاية !
فابتسم المأمور ابتسامة المصادق على ملاحظتي ،
وابتسمت أنا أيضاً وأنا أضيف قائلاً :
— حتى الشيخ عصفور شغلته في السياسة !
فنظر إلى المأمور نظرة ذات معنى ، وقال
في تهديد :
— نمعمل إيه بس !

وفي هذه العبارة وهذا التهديد كل الكفاية في
جملي أرني لحال لهذا المأمور وأقدر دقة موقفه
ومسؤوليته أمام الرؤساء الذين يطلبون إليه نتائج
معينة بالذات بكل الوسائل التي يراها مؤدية إلى
الفرض ، فإن أحجم أو تردد فصل بلارحة ولاشفقة

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر
بقلم الأستاذ

أبراهيم عبد القادر المازني

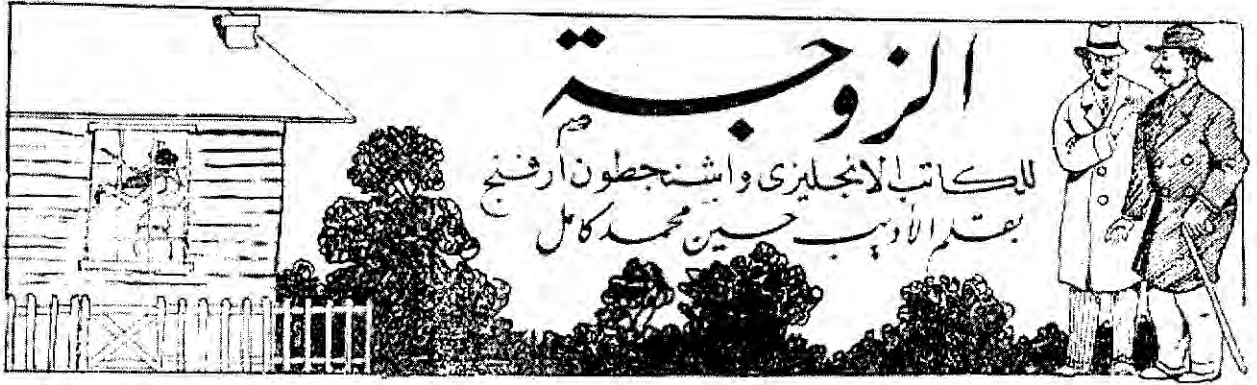
أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة
قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش
التمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف
بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر
الاشتراك يقفل في منتصف أغسطس

مكافأة

للمه بزل على القاتل

تعطى مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥
جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها
في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير
الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً
على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يوليو مع
بيان الأدلة بوضوح وإيجاز



طالما أتيت لي أن أشاهد
بطولة المرأة وثباتها في تاقى
ضربات القدر معجبا باحتمالها
الضراء بمد السراء ، حتى
ليخيل المرء أن المحن التي تقل
عزيمة الرجل وتصدع أركان

« لأنفس من درر البحار ما يجده الرجل
من راحة بال ، وما ينعم به من خفي البهجة
في كنف حب المرأة ، فما قربت المنزل إلا
وملأت صدرى روائح النعيم ، فما أروح
ما يتردد في ظلال الزواج من أنفاس لها عير
ما أحلاه ، وما أطيب البنفسج في حياضه
يبالغ مداه » (مدلتون)

الثقل ، وترأب بمطفها وحدها
صدره المصدوع
كنت ذات يوم أهني
صديقا تجمعت حوله أسرة
موفورة الصحة حمة النشاط
جمعت بين أفرادها أقوى

أواصر المحبة ، فقال لي متحمسا : « ما أستطيع أن
أتمنى لك نصيبا في الحياة خيرا من أن تكون لك زوج
وبنون ، بقاسونك في يسرك السراء ، ويكونون في
عسرك عزراك وعواك على الضراء »

وهذا حق ، فقد رأيت الزوج الذي يتردى
في مهاوى البؤس أقرب نهوضا من سقطته وأقدر
على استعادة مكانته من الأعزب الوحيد . ويرجع
بعض الفضل في ذلك إلى أن لدى الزوج دافعا
أقوى على العمل هو حرصه على القيام بمطالب
أعزائه ضعيفي الحيلة الذين يعتمدون عليه في سد
حاجاتهم وحفظ حياتهم ، إلا أن الفضل الأكبر في
ذلك يرجع إلى أن ما يلقى الزوج في داره من عطف
ومودة يخفف من همه ويزيل من حزنه ، ويجدد
نشاطه ويذكر ملكاته ؛ هذا إلى أنه لا يفقد الثقة
بنفسه ولا يهون لديه قدره حين يرى أنه برغم ما يحيط
به من سواد وبرغم ما يصادف خارج داره من هوان
ما يرح يترفع في بيته عرش مملكة صغيرة من
المحبة والوداد . بيد أن الأعزب يكون في بؤسه

نفسه تستنهض المرأة وتستثير قواها ، وتبث فيها
من البسالة والسوء ما يباغ الذروة في بعض الأحيان .
وليس أوقع في النفس من رؤية امرأة رقيقة ناعمة
كانت أيام اليسر والنعيم عنوان الضعف وقلة الحول ،
وإذا بها تسمو بإدراكها فجأة فتصير سند الرجل
ومفرج كربته أيام بؤسه وخلال محنته ، وليس
أروع من رؤيتها تصمد لمواطف البؤس الجاثمة
رابطة الجأش ثابتة الجنان

تألف السكرمة بأوراقها النصيرة حول السندياته
مستعينة بها على بلوغ شمع الشمس فتظل معتمدة
عليها وتلك موكلتها بها ، حتى إذا ما زالت بالسندياته
صاعدة فزقتها حنت السكرمة عليها بمساليحها الرفيقة
المطوف تضم بها أغصانها الممزقة وأنسجتها المشقة ،
كذلك حال المرأة تعول على الرجل وتكبل أمرها
اليه ، فلا تعدو أن تكون زينة بيته وحلية أنسه ، فإذا
ما انقضت عليه البأساء بضربة من ضرباتها الهوج
شاء لطف الله في قضائه أن يجعل منها موثله وعزائه
فترعى نفسه المضطربة بحنانها ، وتحتمل برفق رأسه

« مضاربات » واسمة النطاق . فلم يعض على زواجه كثير حتى فاجأته المآسى ترى فمصفت بما له . وفي لحظة وجد نفسه قد انحدر الى هوة الفاقة ، فظل وقتاً ما يخفى في نفسه حقيقة ما آل إليه أمره . وقد شحب وجهه ، وتحطم قلبه ، وأصبحت حياته كرباً دائماً لا يريم . ومما زاد في كربيه وجمله عير الاحتمال على نفسه اضطراره أن يتكاف الابتسام والهاشاشه أمام زوجته ، إذ أنه لم يكن يقوى على ازعاجها بالافضاء إليها بحلية أمره ، وحقيقة خطابه . بيد أنها على رغم ذلك رأت بعين الحب التي لا تغفل أنه لم يكن على ما تحب . فلاحظت نظراته الحائرة وزفراته العميقة ولم تحدها محاولاته الفاشلة في الظهور بمظهر السرور ، وحاولت جهده ما ملكت من روح مرشح أن ترفه عنه ، فأحاطته بكل ما وسعها من رقيق العناية ، ورقيق الملاطفة ، عساها تنفاج في رد السرور الى نفسه وإعادة النبطة الى قلبه ، فأخفق مسماها ولم تنفاج إلا في دفع السهم مدى جديد في صميم فؤاده . فكما رآها أحق بأن يزيدا حبا ، زادت نفسه كرباً ، وأمضت التفكير فيما سيجلبه إليها من الشقاء والحرقان عما قريب . ودار بخلد أنه لن يمضي إلا القليل حتى يفارق الغناء شفتيها ويبارح الوميض عينيها ، ويرزح قلبها الحاسق بين جنتيها ، مثل قلبه ، تحت عبء هموم الحياة وأرزائها وأخيراً جاء في ذات يوم وروى لي حقيقة حاله وكل ما انتهى إليه أمره بالهجة من أعرق اللجج بأمساً ، وأشدها بؤساً . فلما وقفت منه على جملة حاله سألته : « أو تعرف زوجك ذلك كله ؟ » فصاح بي وقد خنفته المبرات : « بالله ألا ترجى فتشفق على ، ولا تذكر شيئاً عن زوجي ، فان التفكير فيها هو الذي يكاد يفقدني صوابي »

فقلت له : « ولم الكتمان ؟ ولا مناص من

عرضة لأن يهمل شأنه ويتلف نفسه ، إذ يخيل اليه أنه وحيد متروك ، سيحل بقلبه من البوار مثل ما يحل بالدار المهجورة حين يموزها التزبل المأمول تميد إلى فكركى تلك الخواطر ذكرى قصة من قصص الحياة الزوجية شهدتها بنفسى ، فقد تزوج صديق لي على من فتاة جميلة متهذبة شبت وسط الحياة الجديدة وشغفت بأعاطها الطريفة وأزيائها المستحدثة . لم تكن ذات ثراء ، إلا أن زوجها كان في بسطة من العيش ؛ وكان يروقه أن يتيح لها التمتع بمجاراة كل طريف والتحلل بكل ما يضي على المرأة غلالة السحر والفتنة من جميل الزى ، ونفيس الحلى . وكان يقول : « إن حياتها ستكون قصة من قصص عبقر »

كان خيالياً يميل إلى الجد والرصانة في حين كانت هي مريحة طروباً ، فكان لا متراجهما اثتلاف شجى النعم عذب الألحان . ولطالما شهدت عن كذب ذلك الهيام الصامت الذي كانت تفيض به نظراته إليها ، وهما يجلسان بين الرفاق . وكنت أرى نظراته تلك تبعث في نفسها الهجة والسرور كما كنت أراها تنجبه ببصرها إليه وسط التهلل والاعجاب ، وكأنها لا تبحث عن مبتغاها من الاستحسان والقبول إلا عنده . ولقد كانت حين تنسكى على ذراعه يلوح جمال قوامها الانثوى رائماً في تباينه مع طول قامته وبأدى رجولته ؛ وكان يبدو الاستسلام ويتدفق الحب في نظراتها إليه مما كان يبعث فيه الزهو بها والحذب عليها ، وكأنه ما شغف بهذا الحمل الوديع إلا للضعفه وقلة حوله . وهكذا مضيا في طريق هذا الزواج المبكر والاختيار الموفق إلى حياة زوجية تحفها الورود والياحين مالسين فيها من أزمنة النعم ومقومات السعادة ، واحتمالات الهناء ما لم يتج اغيرها من الأزواج وشاء القدر أن يقامر صديق بما له في

« كيف تكتم الأمر عنها في حين أن
الراجب أن تعلم به لتستطيع أن تمد المدة لهذا
التغير الذي طرأ على معيشتك ، إذ من الواجب
عليك أن تغير نظام حياتك ؟ فقلت وجهه سحابة
من الغم لم تخف على فاسترسلت أقول : « كلا
لا نجمل لذلك سبيلاً إلى قلبك ، ولا تر فيه مدعاة
لإبلام نفسك ، فإني واثق أنك لم نجمل سعادتك
في يوم من الأيام رهينة المظاهر الخارجية . ولا زال
لك أصدقاء حميمون لا ينقصك في نظرهم أن يقل
روني دارك ، ثم إني واثق أنك لست بحاجة إلى
قصر منيف حتى تسعد مع ماري »

فصاح مضطرباً متأنراً : « اني لأستطيع أن أسعد
معيها في كوخ وأن أتمدد معها إلى الفاقة وأهوى إلى
الخصب ، أستطيع ، أستطيع باركها الله ، باركها
الله » صاح بذلك وقد غمره سيل من الأسى والشجن
فقلت له وقد تقدمت إليه وأمسكت يده بحرارة :
« صدقني يا أخي وثق أنها سوف تكون كما كانت
وخيراً مما كانت . واسوف يكون من دواعي فخارها
ودليلاً على انتصارها وسبباً في استئثاره كامن قواها
والتجاسة مدخر عواطفها أن تبرهن فرحة طروباً
على أنها إذ أحببتك أحببتك لذاتك ، فإن في قلب
كل امرأة قبساً من نار علوية يظل كامناً ما أشرق
نور أيام السراء فما يفتشر ضياؤه الاساعة يخيم ظلام
الخطوب . وما يدري الرجل حقيقة زوجته وأنهاراحة
صدره والملك الكريم الذي يحوم حوله حتى يسلمك
بها غمار الحياة وتصهرها المحن »

لقد كان في صدق تعبيرى وبلاغة لهجتي ودقة
تصويرى ما أفر فكمرة الثائر وهذا خاطره المروع ؛
وكنيت أعرف من أحاول اقناعه ، فتأملت الضرب
على الوتر الذي أشجاء وانتهيت باقناعه بالذهاب
إلى بيته والافضاء إلى زوجته بما أحزنه وناء به قلبه

أن تعرف جانية الأمر عاجلاً أو آجلاً فإن تملك
كتمانها عنها طويلاً ، وعندما تظهر لها الحقيقة يوماً ما
سوف يكون الخبر أشد وقعاً على نفسها ، وأكثر
إيلاماً لها مما لو كاشفتها به ، فإن لهجة الحبيب تخفف
وقع الخبر الشديد ؛ هذا إلى أنك تحرم نفسك بهذا
الكتمان راحة عطفها فضلاً عن أنك بتصرفك هذا
تخاطر بالرباط الذي يوثق بين القلوب ، ألا وهو تبادل
الفكر حرراً ، وبث الشعور صريحاً . ولا بد من أن
تكتشف عاجلاً أن أمراً يقلق بالك ويكربك ، وليس
طلى الأسرار في النفس مما يرضى الحبيب ، فتشعر
عندئذ أنك تبخسها حقها وتنتقص قدرها ، ويسوءها
أن ترى أحزانك أنت يامن تحب قد أخفيت عنها »
« أوه ! ولكن ألا تتصور يا صديقي أثر تلك
الضربة التي سأطيح بها كل آمالها وأمانها ؟ ألا
ترى أنني سأهوى بقاياها إلى التري حين أخبرها أن
زوجها قد أصبح فقيراً ، وأن عليها أن تطرح عنها
مطارف الحياة وزينتها ، وتترك مباحج المجتمعات
وفتنها . وتزوى مني في عالم الفقر المدقع والظلام
الطبق ! كيف أخبرها أنني قد هبطت بها من
ذلك الجو الذي تحاق فيه ، والذي كان في وسعها
لولا ما حل بي أن تظل محاطة فيه في اشراق دائم
نوراً السكلى عين ، وهجة السكلى قلب ، كيف تحتمل
الفاقة والمترية ، وقد شبت في أعطف الدسر ؟ كيف
نحتمل الانزواء والاهمال وقد كانت معبود المنتديات ؟
أواه إن ذلك سيحطم قلبها . إن ذلك سيحطم قلبها
رأيتك بليناً في جزعه فتركتك يتدلى في حديثه
فالحديث يسرى عن نفس المحزون ، ويفرج كربة
المكروب . فلما هدأت ثورته ، ورأيت أنه ارتد إلى هدوئه
واستسلم للسكابة عدت إلى حديثي في رفق ولين
وأخذت أحثه على المبادرة بالافضاء إلى زوجته بذات نفسه
وحقيقة أمره فأوماً بالقبول ؛ بيد أنه كان جدمحزون

ولا بد لي من أن أعترف بأنني على رغم كل ما قلت كنت قلقاً غير مطمئن إلى النتيجة، إذ من يستطيع أن يعتمد على جلد من عاشت كل حياتها بين اللهو والسرور؟ أليس من المحتمل أن تتمرد تلك النفس الطروب عند ما ترى ذلك المنحدر المظلم الذي شقه البؤس فجأة أمامها؟ أو ليس من المحتمل أن تظل روحها المرحمة متعلقة بالآفاق المشرقة الخلابية التي ظلت حتى الساعة تسمد بها؟ وما أمر الضيق بعد السمة لمن أحبوا مستحدث الأزياء وطريف الملاهي، فإن العاقبة لتجلب لهم من الآلام المبرحة ما لا يحسه غيرهم من الناس. وبحمل القول أنني لم أستطع أن ألقى صديقي في الغد إلا وأنا مشفق مضطرب وكان قد أفضى إليها بدخيلة نفسه وحقيقة خطبه

« وكيف تلقت الخبر؟ »

« كالملك، حتى السكائم كانت فيه راحة فكرها، فطوقت عنقي بذراعتها وسألتنى: أهذا كل ما أحزنك طيلة هذه الفترة الأخيرة؟ » ثم أضاف إلى ذلك قوله « إلا أن الفتاة المسكينة لا تستطيع أن تتبين ما لا بد لنا من ملاقاته من تبدل حال بحال. أنها لا تعرف الفقر إلا تصورا مما قرأت عنه في شعر الشعراء، لا يوجد إلا محاطاً بالحلب مقروناً بالهوى، أنها لم تشعر بعد بأنها فقدنا شيئاً ما إذ لم تعان بمسدة الحرمان مما ألفت من الناعم والطارف، ولكن التجربة الحقيقية ستكون عندما تصطدم بالوقائع وتعاني وضيق المشاغل وتافه الحاجات ورقة الحال وسوء المآل »

فقلت له: « أما وقد انتهيت من مكاشفتها وتلك هي المهمة الشاقة فانك ستجد عما قريب سرّاً خفياً يبدل أمامك الحياة فتراها تسير بك من حال إلى حال أنها وأسمد. نعم إن الكشف عن الخبر المشؤم قد يؤلم إلا أنه ألم ساعة يزول، وأما حرصك على السكتمان فهو الكرب الذي لا ينتهي

والذي تصلي ناره كل حين توجسا من كشف المستور. وليست متاعب الفقر شيئاً إلى جانب متاعب الادعاء الكاذب وتكاليف الكبرياء والتطلع للعجيب الخاوي. إن محاولة المحافظة على المظهر الفارغ هي التي يجب أن تضع لها حداً؛ فكن شجاعاً في قبول مظهر الفقر فانك بذلك تجرد العاقبة من سلاحها البتار وعذابها الأليم » فوجدت من ليسلي تمام الاستعداد لقبول هذه الفكرة إذ لم يكن فيه ميل للادعاء الكاذب أوحب المظهر الفارغ، أما وزجه فحسبنا ما أظهرت من ميل للسير وفق مقتضيات ما آل إليه حاله

جاءني ذات مساء بعد ذلك بأيام، وبعد أن تخلى عن منزله واتخذ لنفسه كوخاً صغيراً في القرية على مسافة أميال من المدينة، وكان قد شغل طيلة يومه في إعداد أثاثه، وما كانت تلك الدار الجديدة لتتطلب من الأدوات إلا القليل البسيط، وكان قد باع الأثاث الفاخر أثاث منزله السابق إلا أنه أبقى قيثارة وزوجه وقال: إنه احتفظ به لأنه قريب الصلة بها متصل بأقصوصة هواهما، وأنه يذكره ببضعة لحظات من أحلى لحظات هيامهما، حين كان يجلس إلى القيثارة ويستمتع إلى صوتها الشجي الحنون. فما وسمعي إلا الابتسام لما ينطوى عليه هذا الزوج الليم من قروسية ووفاء. لقد كان ذاهباً إلى الكوخ حيث ترك زوجته تقوم بأعداده، ولما كنت مشوقاً إلى تتبع قصة هذه الأسرة وكان المساء جيلاً فقد اقترحت أن أضيحه. ولقد كان متعباً لما بذل في يومه من جهد فسار وقد انتابته نوبة من التفكير الحزين. وأخيراً صعد من بين شفتيه زفرة عميقة وقال: « مسكينة ماري! » فقلت له: « وماذا لها؟ هل أصابها شيء؟ » فقال لي: « وقد ألقى إلى بنظرة ملول: « كثير عليها أن تنحدر إلى هذا المكان الوضيع، وأن يحبس في هذا الكوخ الشنيع، وأن تضطر إلى معاناة

الأفنان ، وقد ظهر حول الباب وفي مدخله
الحضور عديد من أواني الزهر نسقت تنسيقاً
فيه سلامة الذوق ، وانفرج الباب الخارجى الصغير
عن ممر شق بين الأعشاب يؤدى إلى الباب الداخلى
فما كدنا نبلفه حتى سمعنا نغماً موسيقياً ؛ فأمسك ليسلى
بيدى فوقفنا نستمع إذ كان الصوت صوت مارى تنغى
فى بساطة رائمة مقطوعة من المقطوعات التى يحبها
شمرت بيد ليسلى تضطرب فى ذراعى ووجدته
يتقدم ليستطيع أن يستمع بوضوح ؛ فكان لوقع
أقدامه صوت على المرمر المرسوف ؛ فأطل من النافذة
وجه مشرق جميل مالبت أن اختفى وسمعنا خطوات
رفيقة ، وأقبلت مارى للقينا مرتدية ثوباً ريفياً
جديلاً أبيض اللون ، وقد وضعت فى طيات شعرها
الجميل بضع زهرات برية ، وقد علت النضارة
والرواء وجهها وتوردت وجنتاها وأشرق بالابتسام
محياها ، فما رأيتها قط أكثر منها ابتساماً مما بدت
عليه فى تلك اللحظة ، فهتفت : « عزيزى جورج ،
كم أنا مسرورة بقدومك ! فاقط طال انتظارى إليك ،
واقط كررت إلى الممر طاف أبحث عنك . لقد أعددت
المائدة تحت دوحة جميلة خلف الكوخ ، وجمعت لك
بعضاً من أطيب ثمار الفرولا التى تحبها ، ولدينا إلى
جانب ذلك قشدة ممتازة . إن كل ما هنا عذب وهادئ »
ثم وضعت يدها فى يده ونظرت إليه منشرحة
وقالت : « آه ! سنكون سيعدين كل السعادة »
فغلب ليسلى على أمره ، وضعاها إلى صدره وطوقها
بذراعه وقبلها ثم قبلها ولم يستطع الكلام ، وغلبته
الدموع فلأت عينيه . ولطالما أكد لى أنه برغم
ما أصابه بعد ذلك من نغمى وبرغم ما انتهى إليه من
خير وسعادة ، فإنه لم يشعر قط بأعذب ولا أسعد من
تلك اللحظة التى غمره فيها من الغبطة والسعادة ما لا
سبيل إلى وصفه ولا حد لجماله . حسين محمد طاهر

مشقة العمل فى هذا المسكن الشمس «
« هل تألت من هذا الانقلاب ؟ »
« تألت اكلاً ، لم تبارحها عذوبة روحها وصفاء
نفسها حتى ليبدو عليها أنها أكثر مرحاً وسروراً
مما كانت عليه فى أى وقت آخر . ولقد كانت كلها
حباً ، وكلها عذوبة ورقة ؛ فكانت راحة قلبى
وبهجة نفسى » فقلت متعجباً : « يالها من فتاة
تستحق الإعجاب ! أو تدعى أنك فقير يا صديق وأنت
لم تكن أكثر غنى منك اليوم ، إذ لم تنكشف لك
قبل اليوم جوانب تلك العظيمة التى لاحد لها
والتي أنعم الله عليك بها فى شخص هذه المرأة »
« آه ! والكنى لا أستطيع أن أستريح
يا صديقى حتى يمر بسلام أثر اللقاء الأول لهذا
الكوخ ؛ فهذه أول مرة تصطدم فيها بالواقع
وتجرب فيها الحقيقة المرة ، واليوم فقط تاج مسكنا
وضيماً تسكد فيه طيلة يومها فى إعداد حقير لوازمه ؛
واليوم فقط تذوق متاع الأعمال المنزلية ؛ واليوم
فقط ترى نفسها وقد حرمت المطارف ، وفقدت
المتع ، وفارقتها النعيم ، وذهبت عنها الراحة ، ولعلها
تجلس الساعة متعبة كثيفة تفكر فى أمر ذلك الفقر
المقبل الذى ستصلى ناره وتلقى أذاه » ، ولقد كان فيما
قاله شيئاً من الصدق وكثيراً من الاحتمال لم أستطع
أن أمارى فيه ، فسرنا صامتين
انثنينا من الطريق العام إلى منعطف ضيق
ألقت عليه أشجار الغاب ظلاً كثيفاً أوضح عزلة
ذلك المسكن ، وقد ظهر المنزل قبالتنا تبدو بساطته
خليقة باعجاب أشد الشعراء شغفاً بالريف وإيثاراً
للإساطة ، وإلى جانب تلك البساطة تجلى جمال
النظر الريفى ، إذ امتدت على جانب من الكوخ
كرمة برية غمرته بكثيف من ناضر الأوراق كما ألقت
عليه الأشجار الشجراء فينان الأغصان ورشيق

المريض

د. س. ز. ابراهيم عبد القادر المازني



لينها ؟ وكيف جف وتصلب جسمها الذي كان بالأمس رخصاً ؟ وجاوز الأمر التثاؤب الى التعبيس فأحس أنه ثقل على نفسها ، فكف عن الدرس ، وراح يسأل نفسه : « كيف حدث هذا ؟ . لقد كانت أول يوم خفيفة مرحة ، وكان فيها اين ومرونة ، وكان الجمال يضحك بوجهها ، وبضيقه نوره ، فهل تراني أذويتها وأخذت هذا الضياء ؟ » وضاق صدره ، وهو جالس ، ولم يحتمل كل هذا الجمال الذي يخالبه ، فصفق وطلب كأساً من الويسكي ولم تكن الخمر مما يحب ، ولكنه خالف عادته ، لعل الخمر ترفع هذا الذي جثم على صدره ، وشرب الكأس بلا مزج ، صرفاً ، بغير تقطيب وطلب أخرى ألحقها بالأولى ، وثالثة شمسهما بالصودا ، فقد أحس أنه صار أخف وأقوى ، وأن الحجر الذي كان على قلبه قد انحط ، فقد صعد الشراب الى رأسه ، فرفع عينه وأجالها في الفتيات السائرات وراح ينقدهن أيضاً ، فهذه صدرها أعلى مما ينبغي لمن كان لها مثل عودها ، وتلك ممصومة لا تدي لها ولا خصر ولا ردف . وهذه الثالثة بدبعة التكوين ، ولكن ينقصها أن تكون خطوط جسمها ألين ، والرابعة . . . أوه ما شاء الله . . . لقد تحسن النسل جداً في هذا العصر . . . أين من هؤلاء أمهاتنا اللاواتي كن يخرجن ملفوفات في

جاس سالم في (الأمر بكن) مطرقاً ينظر إلى كعب حذائه الذي صقله له الرجل منذ دقائق ، وكان يحركه كأنما يريد أن يحفر حفرة في الأرض الصلبة . وكان كرسيه قريباً من رصيف الشارع ، وكان غامساً بالغاديات والرائحات من كل فائنة ممشوقة الغوام ، ولكن عينه لم تكن إلهن بل إلى الأرض وكان في الحقيقة يديرها في نفسه ، ويتساءل : « لما ذا خلت حياتي الى الآن من المرأة ؟ » ولا يهتدي الى جواب أسؤاله ، فقد كان في السابعة والعشرين من عمره ، وكان ماله كثيراً ، ولا عمل له إلا إنفاق هذا المال — إن صح أن هذا عمل — وكان يحس أنه ليس حياً بالمعنى الصحيح ، وينكر من نفسه انقباضه عن الخلق ، وحياءه وخجله من المرأة . وتذكر ، وهو جالس يراجع نفسه ويتهمها بالضعف وعدم الصلاح للحياة ، أنه حاول مرة أن يتعلم الرقص وكانت معلمته رشيقة خفيفة فاستقبلته أول يوم بالابتسام والترحيب ، وعلمته خطوات ، وكان يحسبها لينة مؤاتبة ، ولكنه لم يجمل باله الى ذلك ، وإن لم يفقه الشمور به ، بل أقبل على الدرس جاداً كأنما الدنيا ليس فيها غير قدميه ، فما أضيق رقعتها ! فلما كان الدرس الثاني ، دار معها دورات لاحظ أنها انقلبت جامدة ، وأنها صارت كأنها نائمة ، فقد كانت تتثاوب بالفعل ! فمجبب أين ذهب

وأدهش سألماً أن الفتاة نظرت إليه كما نظر إليها ،
وأنها لم يسؤها تحديدقه في وجهها ، بل ابتسعت
هي أيضاً ، وتأملت كاعماً تفحصه أو تهجمه بعينها
ثم انصرفت عنه ومضت في سبيلها ولم تلتفت بمد
ذلك وراءها أبداً . وكان عهده بالفتيات أنهم
لا ينظرون إليه ، ولا يقمن له وزناً . وقد تلتقى عينه
بعين إحداهن اتفاقاً ، لا عن عمد منه ، فلما كان
يجرؤ على ذلك ، فتحول وجهها كما رأته ما تذكره
فكان بمجب ويسأل نفسه : « ماذا يا ترى يبغضني
إلين ؟ أنا دميم ؟ فاني أرى أشد الناس دمامة
تمسقهم فتيات صبيحات الوجوه مدهشات ! أم
أنا ثقيل الظل ؟ ولستكني لا أقول ولا أفعل شيئاً .
فإذا برين من ثقل ظلي إن كان ثقيلاً ؟ (ويمر عليه
أن يقر على نفسه بشد الدم فيقول) أظن أنه ينقصني
شيء لستكني ما عمو ؟ (ولا يهتدي إلى النقص
فيقصر يائساً)

ولم يخطر بباله هذا المساء أن به نقصاً ، أو أن
ظله ثقيل ، أو أنه دميم ، فقد صرفه عن ذلك
ما شرب على خلاف عادته . وكانت ابتسامه الفتاة
حسبه مغيراً لسكل هذه الخواطر الثقيلة من رأسه ،
فزرت الجاكنة ومضى وراءها يريد أن يدركها ،
وكانت أسرع منه ، ولستكنه عوض ذلك بقوة
الارادة ، وصحة العزم ، وإذا بها تقف أمام مدخل
عمارة ضخمة عالية ، على الجدار إلى جانب بابها
الواسع لوحات كثيرة فقال وهو يهيج : « سميدة »
فنظرت إليه ماياً ، وحدثت نفسها أنه السكران
الذي كان يغنى في الشارع ، وخطر لها أن تتقى
إسخطاه فقالت : « سميدة » وكانت السكره قد
راحت . . . طارت في الهواء . . ولم يبق في رأسه
إلا الرغبة في معرفة هذه الفتاة الجميلة بأي ثمن ،

الملاات ، وكأنهن منها في غمرات أو زكائب ؟
وقرت عينه بهذه المناظر وزايله الشمور بالسكد
والحرمان ، وآنس من نفسه قوة وجرأة لا عهد له
بهما ، وكانت هذه نشوة ، ولستكنه لم يكن يعرف ذلك
أوبقطن إليه ، وكان الشراب قد أدار رأسه ، فنهض
يتمشى ووضع طربوشه على رأسه بغير احتفال ،
وكان الزر الى الأمام ، وكان ربما أطرق وهو سائر
على عادته ، ولستكنه في هذا المساء استطاع أن يرفع
رأسه ، وكان حين يفعل ذلك فجأة يلح الزر
فيضحك ويضربه بأصبعه فيدور ثم يستقر بعض
خيوطه فوق الطربوش والباقي يتدلى على مستداره
فيضحك كرة أخرى ويهز رأسه مسروراً ، ثم يروح
يغنى ، لا بشمر أو نحوه ، بل بيمض ما يدور في
نفسه من الخواطر ؛ وكان تلحينه مبتكراً لا تشوبه
شائبة من التقليد ، وكان في الواقع اشبه بمن يغنى
نفسه في الحمام ليتسلى ، ولم يكن يحس أن في
الدنيا ناساً يروحون ويحيثون ويستغربون حاله
وينظرون إليه ويبتسمون أو يقطبون . وكان هو
يصيح - وفي ظنه أنه يهمس - كل بنت تحب
أن تحب . . . يا سلام . . . تمام . . . لن تأكلني
امراً . . . أبداً !

وأجل عينه وهو يتبسم راضياً عن نفسه وعن
الدنيا التي حلت فجأة في عينه ، فوقمت على فتاة
أيقن حين رآها أنها أجمل من خلق الله . ولا شك
أنه كان مبالغاً ، ولستكن الحقيقة أنها كانت جميلة .
وكانت وسطاً لا بالعلولة ولا بالقصيرة ، وغضة
هيفاء لا هزيلة معروقة ، ولا بدنية بلح عليها اللحم ،
وسمراء ولستكن شعرها ناعم وحف ، وذهي مرسل
لا يبدو أن شيئاً يحسكه من مشابك أو نحوها ،
وكانت خطرتها ارقصاً بلا تكاف ، ومشيتها انسياباً ،

التي احتساها قوت ضعفه . وثبتت جناحه فزعته
من أن يكون هذا آخر العهد بها ، فلحق بها
كالجنون ، وإذا بها تدخل عيادة الدكتور
جميل . . . ولم يكن قد عني بأن يعرف أى
طبيب هو ، ولكن ما قيمة هذا ؟ . . . وجلس
في غرفة أشار إليها الخادم ، وكانت غاصة بالخلق
فتشهد لأن هذا خليف أن يتيسر له أن يطيل المكث
حتى يرى الفتاة مرة أخرى أو تسنح فرصة لـ . . .
من يدري ؟ . ثم نهض وراح يتمشى في الردهة ،
فقد كان يحس أن السكون شاق ، وخرج الخادم
في تلك اللحظة من غرفة السيدات ، فأومأ إليه
وقال له عشرة قروش وشرع يلقى عليه سؤالاً بعد
سؤال ، لا عن الدكتور فما كان يعبأ به شيئاً ، بل
عن العمارة ومالك من هي وأجرة الشقة فيها ، كأنما
كان ينوى أن يشتريها ، ثم وثب فجأة وبلا مناسبة
إلى السؤال عن الفتاة التي جاء وراءها ، ولم يتعذر
على الخادم أن يعرفها لأن سالماً وصفها وصفاً دقيقاً
وإن كان لم يخل من المبالغة ، ثم لأنها كانت آخر
من دخل قبله ، فما راعه إلا قول الخادم : « آه الرئيسة
خديجة ؟ » فدهش سالم وسأله : « عمن تتكلم ؟ »
قال الخادم : « عن الرئيسة خديجة ؟ » فسأله سالم :
« مالها ؟ » فقال الخادم : « ألم تكن تسأل عنها ؟ »
فقال باستغراب : « هل سألتك عنها ؟ » قال :
« آه ! هذه هي خارجة » وكان هذا صحيحاً ، فهم
بأن يبقعها ، ولكنه أحجم فقد صار حسبه أن
الخادم يعرف من هي ، ثم سأله : « هل قات الرئيسة ؟ »
الرئيسة أين ؟ قال : « في مستشفى الدكتور »
فسأله : « هل للدكتور مستشفى خصوصي ؟ » قال
الخادم : « طبيباً أحسن مستشفى » فسأله : « ماذا
يعالجون فيه ؟ » قال : « كل الأمراض » وهم بأن

فتظاهروا بأن يتأمل اللوحات الكثيرة وقال : « أظن
أن عبادة الدكتور جميل هنا ؟ » وأشار إلى اللوحة التي
تحمل هذا الاسم . فابتسمت وسرها أنه يتكلف
البحث عن اسم طبيب ليخلق موضوعاً للكلام ،
وخيل إليها أنه ليس بسكران كما توهمته ؛ واعترفت
أنه وسيم مليح القسبات فقالت : « ربعا . . من
يدري ؟ » فقال : « إذا لم يكن . . أى هؤلاء
أحسن ؟ هل لك أن تشيرى على ؟ » ولم يكن يريد
أن يقول ذلك ولكنه قاله بلا تفكير ، فلم يسمها
إلا أن تضحك ثم قالت : « هل أنت واثق أنك تريد
أن تدخل عيادة طبيب ؟ » فقال : « بالطبع . إني
مريض جداً . . لا أدري كيف عشت إلى الآن . .
كيف أمكن أن أعيش » وأحس وهو يقول ذلك
أنه ليس خير ما يقال لفتاة جميلة يرجو أن يستميلها
إليه . وما ذا تصنع فتاة بمستشفى متحرك ؟ ولكن
السيف سبق العذل . وسمها تقول — كأنما كانت
تقرأ خواطره — « مسكين ! ألا يحسن أن تذهب
إلى مستشفى ؟ » فقال بسرعة ، فما كان يعنيه إلا
الكلام والسلام : « والله فكرة . . هل تعرفين
مستشفى ؟ » ولم ينتظر جوابها بل اندفع يقول :
« اسمي . من أنت ؟ . من عسى تكونين بغض
النظر عن كونك أجمل فتاة على ظهر الكرة
الأرضية ؟ » فحماقت في وجهه ، وقد أدهشتها
جرأته ، ولكن لهجة الجذ والاخلاص لم تقها ،
ومنعها أن تغضب ، وأقنعتها أنه يقول ما يعتقد
فابتسمت واكتفت بأن تقول : « اسمح لي . . »
ودخلت العمارة وتركتته واقفاً ، فتردد وعأوده الحياء
القديم الذي أفسد عليه حياته ، فقد كان ذهابها ،
هكذا فجأة ، صدمة كادت تضيع تشجيع الابتسامه
التي أجرتة وراءها ، ولكن بقية من الكؤوس

فقال الدكتور : « بالطبع المستشفى أحسن وأضمن ، ولكن المسألة متعلقة بك »
فكاد سالم يرقص من الفرح وقال : « هل أستطيع أن أدخل الليلة ؟ »
فسأله الدكتور بدهشة : « الليلة ؟ ولم هذه العجلة ؟ »

فقال سالم : « خير البر عاجله ... شيء لا بد منه لماذا تؤخره ؟ إلى أكره التلصق والبلادة والتردد ... نعم الليلة »

قال الدكتور وهو يتأمله : « حسن ، سأرى . إنك أغرب مريض رأيته ... لا يبدو عليك أقل إدراك لخطورة حالتك »

قال : « بالعكس ... أنا واثق أنها خطيرة جداً وأنها ستكون أخطر إذا بقيت خارج المستشفى دقيقة واحدة »

قال الدكتور : « كما نحب »
وتناول التليفون

كانت مصحة الدكتور جميل بك في حي هادي تحيط به البساتين ، وكان النظام فيها دقيقاً والعناية شديدة بالمرضى ، وكان فيها درجتان اثنتان ليس إلا ، فليس للفقير فيها محل ، ولا يحتاج ان تقول ان سالما آثر أن ينزل في الدرجة الأولى ، لا حباً في الواجهة أو الفخفخة ، وان كان ماله كثيراً ، بل لأنه أراد أن يكون أقرب الى الريسة خديجة وأدنى وسيلة إليها . وكان رأى الدكتور جميل فيه قد سبقه الى المصحة ، فلم كل من فيها أن مريضاً مدنياً قد يصبح هامة يوم من الأيام في شهر من الشهور المقبلة قادم ليقيم في المصحة ويراقب ويمالج ما أمكن العلاج ،

يسردها ، ولكن سالماً قطع عليه الكلام بأن دس في يده عشرة قروش أخرى وقال - أوصاح - « هذا أحسن طبيب وأنا أسمع الناس » فقال الخادم : « الله يشفيك يا بك ! »

وجاء دور سالم فدخل على الدكتور جميل ، وكان طويلاً مديد القامة ، وشاباً ولكنه يؤثر أن يترك عتونه ليزيد وقع علمه وفعل طبعه بوقار الشيخوخة المستمار

وسأله الدكتور : « مالك ؟ »

فابتسم سالم وفرك كفيه ، وراح يصف الأمراض التي يسمع بها ولا يعرفها ، ويزعم أنه مصاب بها جميعاً وفي وقت مما . وكان الدكتور يصني إلى وصف حالته وآلامه فيقطب ، ثم يزداد تقطيباً ، حتى صار جبينه كالحصير ، ولما فرغ سالم من الوصف نهض الدكتور وزام وهو يتمشى وقال « ارقد هنا »

وخفصه بمناية وجمل وهو ينقر على بطنه ويتحسس أمعائه وبضغط هنا وهناك ويروم ويهز رأسه آسفاً ، وسالم يرى ذلك فيخفق قلبه طرباً ، ثم قال الدكتور : « البس ثيابك ... واسمع ... » فاقبل عليه سالم بوجهه وقال : « نعم نعم ؟ » فقال الدكتور : « إلى آسف ... مرضك صعب ويحتاج إلى عناية شديدة ووقت طويل ... والنتيجة (وهز كتفيه) لا أدري ... قد تشفى أو لا تشفى ... »

فسر سالم جداً وقال باهتة : « ألا ترى يا دكتور أنه يحسن أن أدخل المستشفى لينتظم العلاج ويؤمن الخياط ؟ »

فقال لها : « إسمي ... متى تكون الرئيسة خديجة هنا ؟ »

قالت : « غدا صباحا ... لماذا ؟ . هل تعرفها ؟ »
قال : « لن أعرف أحدا إذا لم أعرفها ...
أخبرها أني أريد أن أكلها قبل أن تغير ثيابها ...
مفهوم ؟ »

لقد أتت الرئيسة نفسها أن مريضاً مثله مشفياً
على النافذ جدير بأن يجاب إلى رجاء كهذا لا ضير
منه ، وفي هذه اللحظة جاء من يدعو إلى التليفون
فذهب وتناول الساعة وقال :

« إسمع يا دكتور من فضلك ... إني لا أحب
أن أرى حولي ناساً وجوههم بيضاء ... السمرة
هي اللون الذي أحبه ولا أطيق سواه ، فإذا لم يكن
عندك ممرضة أو ... أو ... أو ... رئيسة سمراء
فاني أخرج الآن ... لا يمكن أن أبقى ... لا فائدة
من أي علاج ... »

فقال الدكتور : « أوه لا تخف ... اطمن ...
سنجد لك ممرضة سمراء ... انهن كثيرات »
فصاح في التليفون : « لا لا لا لا . ليست كل
سمراء صالحة ... سمراء واحدة هي التي يمكن أن
أطمئن إليها وأرضى أن أضع نفسي بين يديها »
فسأله الدكتور : « من هي ؟ »

قال : « لا أدري ... لقد رأيتها في منامى ...
وأحلامي كلها صادقة ... لا يكذب واحد منها ...
ومتى رأيتها عرفتها ... فإذا لم تكن هي التي بدت
لي في حلمي ، فإن أبقى دقيقة واحدة هنا ... وهذا
شرط لا سبيل إلى النزول عنه »

قال الدكتور ملاطفاً : « سترى غداً ... انتق
من شئت ممن عندنا من السمراوات »

فلما رأوه يدب على الأرض وهو داخل كأنما هو
ذاهب إلى مرقص ، وبصفر وهو يمشي ، ويدبر
العصا بين أصابعه ، دهشوا وبهتوا وخيل إليهم
أن في الأمر خطأ أو أن هنأ لا زعم أنه هو المريض
وجاء بدلاً منه . وفر كوا عيونهم التي لم يصدقوها
وأحاطوا به - رجالاً ونساء - وراحوا يصعدون
عيونهم إلى وجهه ويصوبونها إلى قدميه ، ثم ينظر
بعضهم إلى بعض مستغرباً وأقواهم مفتوحه من فرط
الدهشة ... أهذا هو المريض الذي يخشى على حياته
من الفساد الذي في معدته وأمعائه ؟ ... الفساد
الذي لا يكاد يكون له علاج ؟ ... أهذا هو الذي
يدبر عينه فيهم كأنما يفتقد شيئاً لا يراه ولا يدري
أين يلتمسه ؟ ... لو كانت المظاهر تصدق لكان
هذا خليقاً أن يكون ملاكاً ! فالحق أن الدكتور
جميل بك آية من آيات الله ! ... كيف عرف ياترى
داهه الدفين الذي لا ينشئ به مظهره الخداع ؟ ؟
وسألهم سالم ، وهم حافون به في غرفته : « قولوا
لي ... هل أنتم كل من هنا ؟ »
قالوا : « نعم »

قال : « إذن هناك خطأ ... أين الرئيسة ؟ »
وكاد يقول : « خديجة » ولكنه آثر أن يكبح نفسه
فتقدمت إحدى الفتيات فنظر إليها معبساً
وقال : « أنت ؟ هل أنت الرئيسة ؟ » ثم خطر
له خاطر فأضاف : « الرئيسة الوحيدة ؟ »

قالت : « لا ... هذه ليلتي ... »
قال : « آه ... بالطبع ... أين التليفون ...
اطلبوا لي الدكتور حالا »

فظنوا أنه يمانى ألماً باطنياً يتشدد ويتجلد ليكتمه
نفرج ثلاثة أو أربعة منهم ، يعدون ، وبقيت الرئيسة

قال : « وتكون لي خاصة .. لا تغني بأحد
سواي .. وأؤدي أنا نفقاتها .. مفهوم ؟ »
فقال الدكتور : « لا بأس . لا بأس . مسألة
بسيطة . ولكن يجب ألا تغلق نفسك أو ترجعها
بأسر كهذا .. سنفعل كل ما يمكننا لنكفل لك
الراحة ؛ والآن اذهب ونم »
فنام مطمئناً ..

وفي الصباح جاءت انثى أختها الصديقة ،
ووقفت أمامه تبسم له ، وعليها ثوب أبيض قصير
الكمين ، فحدث نفسه بنعمة الله عليه ، وقالت له
وهي تدير عينه في الغرفة : « إن ثيابك لا تزال في
الحقيقية » ومضت إليها لتخرجها وترصها في الخزانة
فقال : « أوه .. لا تتبعي نفسك فاني أستطيع أن
أرتبها » فقالت : « ولكن هذا واجبي . إني أفعل
ذلك لكل مريض أكون عنده أو أحضر دخوله »
فصاح بها : « إذن يجب أن تكفي عن هذا .
مريض واحد هو الذي يجب أن تقصري عنايتك
عليه . هذا كان اتفاق مع الدكتور الذي قال إنه
ليس في مصر كلها إلا فتاة واحدة يأتمنها على »
فسرت الفتاة وقالت : « هل قال هذا حقيقة ؟
إذن سأتولى أمرك بالنهار ؟ » فقال : « بالنهار
وبالليل » ؛ فنظرت إليه وأنحنت على الحقيقية لتخرج
منها الثياب وترصها في الخزانة ، وقالت وهي تفعل
ذلك : « إن ذوقك جميل .. هذه المنامات
(البيجانات) بديمة » فسره هذا وحدث نفسه
أن البداية طيبة وقالت : « والآن سأخرج وأجيء
باللبن » فوجم وطال وجهه ، لسببين : أحدهما أنها
خرجت فركد الجو حوله ، والثاني أنها ستجيبه
باللبن وليس أبغض إليه منه ؛ على أن غيابها لم يطل ،
فقد رجعت بعد قليل وفي يدها كوب وقالت :

« اشرب هذا » فالتفت إليها وقال : « اسمي . هل
هذا اللبن ضروري ؟ » قالت . « بالطبع . إنه
غذاؤك الذي أشار به الدكتور » فقال : « لا بأس !
من يدك أتقبل أي شيء » ورد إليها الكوب فارغاً
فهمت بالخروج فقال : « إلى أين ؟ » قالت :
« سيجيء الدكتور بعد قليل فاستعد لقائه » ،
فسألها : « وما الداعي لخصوره ؟ .. ألسنت قد
دخلت المصحة وانتهى الأمر ؟ » فضحكت وقالت :
« سيميد فحسك »

وجاء الدكتور كما قالت - بعد قليل - وأعاد
الفحص وأتمبه به ، وآلمه أيضاً ، ثم اعتدل بعد
طول الإحناء عليه وقال : « خديجة . لا شيء إلا
اللبن » فقرع سالم وقال : « ولكنني قلت إنني
أمقنته ؟ » فقال الدكتور وهو لا ينظر إليه :
« لا شيء إلا اللبن » وخرج

فدنت منه وكان قد أغمض عينيه ، يائساً ،
وراح يسأل نفسه : « كيف يمكن أن يعيش على
اللبن وحده ؟ .. إن هذا سينتهي به إلى ما يتوهم
الدكتور أنه مصاب به ولا شك » وأحس خديجة
تلمس يده ففتح عينيه مسروراً فألفاها تجس نبضه
وسمها تقول : « تعبان ؟ » قال : « ميت » قالت :
« مسكين .. هل تحس ألماً ؟ » قال : « كلا . إنما
أحس أن دماي تغني في عروقي .. خلي يدك على
يدي » قالت : « هذا من أعراض المرض .. تعترى
المرء نوبات من النشوة ... »

فقال : « اسمي ... أليس عندكم شيء من
الويسكي »

فصاحت به : « إيه ؟ »

قال : « ويسكي ... جون هيج ... بالصودا »
قالت : « إنك أغرب مريض رأيت به في

حياتي ... ألا تعلم أن هذا يقتلك ؟
 قال : « ألم يقل لك الدكتور إنى ميت لاحتالة ؟
 فإذا بهم ؟ سيان أن أموت بالويسكى أو باللين ...
 بالويسكى أحسن ... وألذ أيضاً »
 قالت : « ينجيل إلى أنك مزيف ! »
 قال : « سلى الدكتور ... صدقيه إذا كنت
 لا تصدقنى »
 قالت : « لقد أسرنى أن أدلك لك معدتك »
 قال : « بالطبع ... هذه هى ... إنه دكتور
 حكيم ... »

ولو أن غذاءه ظل مقصوراً على اللبن لمسات كما
 قال لنفسه ، وهو يشرب الكوب الأول منه ،
 ولكن خادمه كان يجيئه - سرّاً - بما يشتهى
 فيأكله خلسة . فاتفق يوماً أن دخل عليه الخادم
 بفطير وكان قد غاب يومين فتصور سالم ، فلما رآه
 مقبلاً صاح به : « أين كنت كل هذا الدهر ؟
 إنى أموت جوعاً هنا » قال : « يا سيدي
 لا تؤاخذنى ... لقد جئت يومين ولكنهم كانوا
 يفتشوننى وبأخذون ما مئى . . غير أنى استطعت
 اليوم أن أغافلهم وقد خبأت هذه الفطيرة . . »
 فتناولها سالم بسرعة ومال عليها بفمه فلأه بقضمة
 كبيرة منها ، وأراد أن يقول له أغلق الباب ، ولكن
 فيه كان محشواً فمجزوا كتنى بالإشارة إليه ، وعرف
 الخادم المراد فوقف وراء الباب وأسند ظهره إليه
 لأنه لم يجد مفتاحاً . وأقبل سالم على الفطيرة ياتمها
 بأسرع مما كان يتوهم أن فى قدرته أن يصنع ،
 ولم يكذب بفرغ حتى سمع نقرأ خفيفاً جعل يقوى .
 فقد كان يشير للخادم ألا يفتح ريثما يمسح فيه
 ويمضى على آثار الفطير . ثم دخلت خديجة وقالت :

« ما معنى هذا ؟ هل كنت تصنع شيئاً مخالفاً
 للأوامر ؟ » فقال بإبتسام - فقد ارتاح لما أكل
 وأحس بالامتلاء - « وماذا أستطيع أن أصنع
 هنا غير ما ينبغي ؟ » فقالت : « إنه يبدو عليك
 أنك خالفت الأوامر » قال : « أبداً . كل ما حدث
 أن حسن هذا جاءنى بخبر سار جداً . . فأما لهذا
 منشراح الصدر ... اسمع يا حسن ... هات لى كل
 يوم خبراً ساراً ... إن خير علاج هو الأخبار
 السارة ... أليس كذلك ؟ »

فأحست خديجة أنها غلبت فسكتت وأقبلت
 على السرير ترتبه وقالت وهى تفعل ذلك : إن الدكتور
 آت . ولم تكذب بفرغ حتى دخل وأوسمه جسماً وضغطاً
 وتنقيراً حتى كاد يحجن ، وقال وهو يفعل ذلك : إنه
 يظن أن فى المعدة شيئاً غريباً ، فأدرك سالم أنها
 الفطيرة وكاد يضحك لولا ما هو فيه من الهم . ثم
 قال الدكتور : « لقد رأيت إبدال اللبن بعصير
 البرتقال ليس إلا . . . واست أرى داعياً لأجراء
 عملية . . وسأرى ما يكون . . »

وظل ثلاثة أيام يشرب عصير البرتقال ولا يصل
 إلى شئ . سواء ، لأن الخادم عجز عن تهريب أى
 شئ ، فضعف وقلت حركته وبدأ عابه الهزال ،
 وساء خلقه أيضاً ، مع غير خديجة بالطبع ، كما
 لا يحتاج أن تقول . وكانت أخبار شراسته مع
 المرضات وغيرهن تبلغ الدكتور جميل ، فيزداد
 اقتناعاً بأن هذه الحالة العصبية التى تغرى بالاعتداء
 باللفظ أو اليد مما يؤيد صحة التشخيص ويستوجب
 زيادة العناية والتدقيق . وكان المرء الوحيد الذى
 يساعد سالمًا على الاحتمال والصبر ، هو وجود
 خديجة إلى جانبه أكثر الوقت وقد استطاع بالعنف
 مع سواها ، وبالمال الذى يبذله المصححة ولمن فيها

سالم لم يكن سلوك مريض مدنف مشف على الهلاك
وسرها في قرارة نفسها أنه تمارض من فرط حبه
لها وأنه إنما أراد أن يكون قريباً منها ، واشتمت
أن تسمع هذا منه هو ، لا من عمه فقط

ولم يخيب سالم أمها فقال : « صحيح وسأنتص
عليك القصة . . . شاب خجول لا يستطيع أن
يكلم فتاة ، فاذا حاول أن يكلمها وقف لسانه في
حلقه ، وماله كثير ولكن ما خير المال وحده ؟
فاتفق يوماً أنه شرب كأسات من الويسكي صرفاً ،
ورأى بعد ذلك أجمال فتاة في الدنيا ، ونظرت إليه
الفتاة فابتسمت ، وكانت هي الوحيدة التي رأت
وجهه وابتسمت ، فجري وراءها ، ولم يكن مريضاً
ولكنه اضطر أن يخترع لنفسه مرضاً يسوغ به
افتحامه عيادة طبيب ، فاخترع واخترع حتى طار
عقل الطبيب المسكين ، وقد أحب هذه الفتاة حب
عبادة ، وفي سبيلها صبر على الابتناء والصرف واحتمل
عصير البرتقال ... يا لها من تضحية ! ! وهو يحيا
وحده ، بلا أنيس أو إلف ... ويديه موحش ، فهل
تظنين أن الفتاة يمكن أن ترضى بهذا المجنون زوجاً
لها ؟ »

وكان العم ينظر إليها معجباً ، وابتسم لها
مشجعاً ، فقالت وقد وقع من نفسها أن سالماً عرض
نفسه للهلك من أجلها « ولكني لست سوى
مرضة ... لست كفتوة لك »

فقال وهو يضع ذراعه على خصرها : « ستظنين
مرضة ... فقد أسابني في طفولتي أ ... أ ... »
فضحكت ونهضت عن السرير وقالت : كفى
اختراعاً ... »

وخرج الثلاثة ، بعد قليل ، معاً ...

ابراهيم عبد القادر المازني

أن يحتكرها لنفسه ، وأعانته على ذلك أن الدكتور
جيل يمطف عليه ويرثي له ، ولكن الخادم قلق
وأشفق على سيده ، وكان قد رباه وحمله صغيراً وظل
معه بعد وفاة أبيه ، فلم يسمه إلا أنثى يفضي
بوساوسه وهو واجسه إلى عمه - عم سالم -
وإن كان سيده قد أسره ألا يخبر أحداً أنه دخل
مصحة . نجاء العم وزار ابن أخيه ، وألح عليه أن
يفضي إليه بالحقيقة وأن يطمئن قلبه ، فقال له سالم
إنه بخير ، ولا خوف عليه ، وأن كل ما في الأمر
أنه « مريض جداً » ! فضحك العم ، وكان ظريفاً
كيساً ؛ وقال لابن أخيه ، إذن قم والبس ثيابك
واتفق أن خديجة كانت في ذلك الوقت تهم
بالدخول ، فلما رأت هذا الزائر وقفت ونظرت منه
إلى مريضها ، وحدث فيها العم والتفت إلى ابن
أخيه وسأله :

« أمي هذه ؟ »

فهر سالم رأسه أن نعم

فقال العم : « إنك ممذور ... »

وكانت خديجة تسمع هذا الحوار وتتعجب ،
ولا تفهم شيئاً ، فأشار إليها سالم أن تدنو وأن
تجلس على السرير ، فتحدثت ، فألح ، فأطاعت ،
فقال لها :

« هذا عمي . إنه كما ترين ، لا يخيف ... وهو
يدعوني إلى الخروج من هنا ، والعود إلى البيت ،
وأنا أصر على البقاء ، لأن حياتي هنا أملاً وأمتع ...
إلا إذا قبلت أن تذهبي معي إلى البيت »

فقالت : « ماذا تقول ؟ لست فاهمة »

فقال العم : « يا ستي هذا مريض مزيف ... »

متمارض من أجلك »

فنظرت إليهما كالدهولة ، وتذكرت أن سلوك



للفصوى الرضى سالكوف

بتلم الأستاذ عبداللطيف النشار

دهشة شديدة : « ولكن أين نحن الآن ؟ وهل كان مارأينا جلماً ؟ »

ولس كل منهما الآخر ليستوثق هل هو في حلم أو يقظة . وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما متسع قليل من الأرض خلفه المحيط أيضاً ، فبكيا لأول مرة بعد أن ألغى ديوانهما

ونظر كلاهما إلى الآخر فراه لا يرتدى غير قميص النوم ، وقد علقت في جيبه صفيحة عليها رقم . وقال أحدهما : « الآن موعد تناول القهوة ؟ » واسكن من لنا بها الآن ؟ » ثم عاد إلى البكاء وقال : « ما الذى نفعله يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا تقريراً فكيف نبعث به ؟ »

فأجابه الموظف الآخر : « سأخبرك بالذى يجب أن نفعله يا صاحب السعادة : أنا أذهب شرقاً وأنت تذهب غرباً ، ثم تعود إلى الاجتماع هنا ، وإذا اهتدى أحدهما إلى رأى تشاورنا فيه »

وهنا اختلفا في تعرف الشرق والغرب وتذكرا قول رئيس الديوان :

« إذا أردت أن تعرف الشرق فاجمل الشمال أمامك ، فالذى على يمينك عند ذلك هو الشرق » ، ولكنهما لما أرادا أن يعرفا أين هو الشمال اتجها نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما قضيا كل حياتهما في دار المحفوظات ؛ فقد ذهب مجهودهما هذا عبثاً

كانا في وقت ما يشغلان منصبتين من مناصب الحكومة

وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك وعلى غرة منهما وجدا نفسيهما « يشحنان » إلى جزيرة غير مأهولة كأنما ينقلهما إليها بساط سليمان وكانا قد قضيا عمرهما في ديوان حكومى نشأ فيه وتربيا وشابا ؛ وكانا قد ولدا به أيضاً . وهما من أجل ذلك لا يعرفان أى شئ لا يتصل بأعمالهما . وكل الذى يعرفانه ينحصر في الصيغ الديوانية المألوفة التى تنتهى بهذه الجملة : « وتفضلوا بقبول اِحترامى »

لكن هذا الديوان ألغى وأقالتهما الحكومة فهاجرا ، بعد إذ أطلق سراحهما ، إلى شارع بوديشسكايا في بطرسبورج . وكان لكل منهما فيه منزله وطاويه ومماشه

ولما استيقظا من النوم في الجزيرة التى « شحنا » إليها ، وجدا نفسيهما نائمين تحت لحاف واحد . ولم يفهما بالطبع في البداية ماذا أصابهما ؛ فأخذا يتسكلمان كما لو كان الأمر بينهما يجرى على عادته قال أحدهما : « ما أغرب الحلم الذى رأيت ليلة أمس يا صاحب السعادة ! لقد رأيت في الحلم أنى نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »

لكنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى وثب من مكانه ووثب الموظف الآخر أيضاً ، وقال في

سمك وسماني وأرانب وفاكهة وأن ليس في مقدورها الحصول على شيء منها

قال أحد الموظفين: لا أعرف كيف نميش هنا ؟
إننا حتى لو استطعنا الحصول على طائر فكيف نذبجه
وننظفه ونطبخه ؟ كيف يحدث كل ذلك ؟

فأجابه الآخر: « إنني في الحق لا أفهم كيف
يحدث كل ذلك »

ثم عادا الى الصمت وحاولا أن يناما ، ولكن
قبل أن تغتمض عيونهما مر سرب من السماني
فتخيلاه وهو مقلي على الأطباق . وقال أحد
الموظفين: « لقد هممت من شدة الجوع أن آكل
حذائي » فأجابه الآخر: « إنني سأمتص جوربي »
ونظر كل منهما الى الآخر نظرة شر كأن نفسه
تحدثه بأن يأكل صاحبه ؛ ثم صرخ كل منهما صرخة
جنونية كأنها عواء الذئب . وقال الموظف الذي
اشتغل مرة بالتدريس: « أظننا لن ننتظر حتى
يحاول أحدهما أن يأكل الآخر » فأجابه: « وكيف
نفعل ؟ إننا بلا ريب سنلاقى الموت ؛ فما رأيك
يا صاحب السعادة ؟ »

قال: « يجب أن نقطع الوقت بالحادثة ، وإلا
فان واحدا منا سيأكل الآخر لا محالة » فأجابه
الموظف الآخر: « ولكن ماذا نقول ؟ إبتدىء أنت ! »
قال الموظف الذي كان مدرسا: « قل لي لماذا
تشرق الشمس أولاً ثم تغرب ؟ ولماذا لا يكون
العكس ؟ » فأجابه الآخر: « هذا سؤال مضحك
يا صاحب السعادة . إن الشمس تشرق لكي نستيقظ
ويذهب كل منا الى الديوان ، ثم تغرب لكي ننام »
قال: « ولكن لماذا لا نفترض العكس فنذهب
عند شروق الشمس الى الفراش فننام ونحلم ، وعندما
تغرب الشمس . . . » فقاطعه الآخر قائلاً: « إن

وقال أحدهما: « أرى يا صاحب السعادة أن
يذهب أحدهما الى اليسار والآخر الى اليمين »

وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلاً عن عمله
في دار المحفوظات بتدريس علم الخط وقتاً ما ، فهو
لذلك أذكى قليلاً من صاحبه

وكان كما اقترح . أما الموظف الذي ذهب الى
اليمين فوجد أشجاراً تحمل كل أنواع الفاكهة ؛
وكان بوده لو يستطيع تناول تفاحة ، ولكن الثمر
كان شديد الملو فلا يستطيع الحصول عليه إلا إذا
تسلق الشجر . وقد حاول أن يتسلق إحداها ،
ولكن ذهبت محاولته سدى . وكل الذي نجح
فيه أنه مزق قميص نومه

وألقى نظرة على الماء فرآه ممتلئاً بالسمك ، فتمنى
لو أن كل ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع
بود شسكاي . ولما مر هذا الخاطر بذهنه جرى
لما به . ومشى في الغابة فرأى كل أنواع الطيور
والأرانب والغزلان فقال:

« يارب ما أكثر رزقك وما أقل قدرتنا على
الحصول عليه ! »

واشتدت عليه وطأة الجوع . وعاد الى المكان
الذي اتفق مع صاحبه على لقائه فيه فوجده في انتظاره
قال: « ما ذا وجدت يا صاحب السعادة ؟ »
فأجابه صاحبه: « لم أجد غير عدد قديم من جريدة
الوقائع الرسمية . فأخذ يحدثه عما وجده هو .
وجلس الموظفان ، ثم حاول كل منهما أن ينسام
ولكن خلو معدتيهما من الطعام سبب لهما أرقاً
شديداً . وكان من أسباب الأرق أيضاً تفكيرهما
في المعاش المرتب لكل منهما ، وفيمن يتقاضاه
عنهما الآن فيتمتع به دونهما . وكان من أسباب
الأرق فضلاً عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من

هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس يحمل الانسان على الاستعداد للذهاب ، كما أن غروبها يحمل الانسان على طلب العشاء »

وقد أفسدت كلمة العشاء المحادثة لأنها هاجت جنون الموظفين الجائعين ، فقال أحدهما : « إن أحد الأطباء قال لي إن الانسان يستطيع أن يعيش مدة ما بما في جسمه من سوائل . فقال الآخر : « لا أفهم ماذا تعنيه » قال : « هذا يعني أن في الجسم أنواعاً مختلفة من السوائل ، وأن بعضها يتحول إلى بفض حتى تصير الى الخلاصة الغذائية » فقال الآخر : « وماذا يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الانسان في النهاية الى طعام جديد ليتحول الى الأنواع المختلفة من تلك السوائل » فقال : « إذن فالمبرة كلها بالطعام ! لعنة الله على الطعام ! » وأدرك الموظفان أن هذا النوع من الحديث لا يؤدي الى الغرض الذي يقصدان إليه ، بل هو يزيد من شهوتهما فقررا أن يتركا الحديث ؛ فلما طال بهما الصمت تذكر أحدهما الوقائع الرسمية فتناولها ليقرأ فيها لصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى - وهي خبر وليمة رسمية - إلى ذكر أنواع الطعام ، فأخذ الآخر منه الجريدة ليقرأ خبراً آخر . وأخذ يقرأ ، ولكن الخبر - وهو استكشاف جديد - قد انتهى باقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيها فقرة لا تتعلق بذاتهم بالطعام ، ولكن انتهت إلى ذكره أيضاً . فأطرق كلا الرجلين وتشاءب تشائباً مؤلماً ثم برقت عينا صاحب السعادة إذ خطر بباله خاطر سميد . ووقف فجأة ليأمن استكشافه وصاح : « ماذا تفعل ؟ لقد عرفت السبيل إلى النجاة ، فإذا تقول إذا أتينا بخادم ؟ » فصاح الآخر : « وكيف نأتي بخادم يا صاحب

السعادة ؟ وأي صنف من الخدم نجده هنا ؟ » فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن يعد لنا الطعام وأن يصيد السماني والسمك ويطبخهما » قال : « هذا حسن ولكن كيف نجده ؟ » فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون في كل مكان . إننا نقوم فتبحث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد أن يكون هنا خادم على الأقل »

اطمان الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل منهما لبحث عن خادم . وطالت مدة بحثهما ، ولكنهما لم تذهب سدى ، فقد وجدا في النهاية رجلاً أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد الماعز وهو نائم تحت شجرة ؛ فلكرهه صاحب السعادة وصاح : « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكاد نموت من الجوع . قم ! »

فنهض الخادم ونظر الى الموظفين وكان أول ما هم به أن يفر ، ولكنهما أمسكا بتلابيبه فاستسلم المسكين للقدر المقدر عليه ، وصدع بالأمر وتساوى شجرة تفاح لجمع للسيد الجديدين خير ما فيها . وقطف تفاحة توشك على الفساد ، فجعلها لنفسه . ثم نزل عن الشجرة ، فجمع مقداراً من البطاطس وأوقد النار بضرية حجرين في وسط هشيم وطبخ البطاطس ؛ وفي أثناء ذلك صاد أرنباً فأضافه الى الطعام . وصاد كذلك زوجاً من السماني ؛ فأدرك الموظفان مقدار ما لقياه من السعادة بقرب هذا الخادم . ونسيا أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل . وقال كل منهما للآخر : « ما أسعد حياة الموظف ! » وقال لهما الخادم : « هل أنتما مسروران ؟ » فقالا : « نعم ونحن نقدر خدماتك »

قال : « فهل تسمحان لي الآن بأن أستريح ؟ » فقالا : « نعم على شرط أن تأتي لنا بمجبل أولاً » فذهب وجمع أليافاً طويلة ولم يزل يفتلها حتى صنع منها حبلاً

المنزل المجاور للديوان الذي كانا به ولم يكن من المستطاع طبعاً أن يطلب هذان الموظفان الى الخادم شيئاً فيتردد ضناً منه بلذتهما ومروورهما ، ففكر في الوسيلة المؤدية الى عودتهما ، وصنع لهما من أشجار الغابة سفينة لم تكن كسائر السفن ، ولكنها مجرد أخشاب مربوطة بعضها الى بعض ، وصنع لنفسه مجدافين ليتولى بعفده تسيير السفينة

وأبدت الرحلة : فكأنا بلعنانه ويلعنانه بأقبح الألقاب كلما ظننا أن حياة اثنين من الموظفين ستعرض للخطر في سفينة هذا الخادم

وكان يقول : « لا تخافا يا صاحبي السعادة فاني وسائر الخدم معتادون تسيير هذا النوع من السفن كلما أردنا الفرار من خدمة السادة

وكان البليدان لا يعملان شيئاً في السفينة ، فنهض الخادم مع انفراده بالتجديف يهيه لهما الطعام مما يصيده من السمك ويشويه حتى بلغت السفينة النهر وما كان أسدهما عندما انتقلت السفينة من بحر البلطيق الى نهر النيقا . ودخلت السفينة قناة كترينا وهما لا يزالان بها ، ولم يخطر ببالهما أن يقطعاً بقية المسافة مشياً على الأقدام . وفي النهاية وصلا الى العاصمة ، فاستمر الخادم يحذف حتى وصل الى شارع بوديشسكايا

كانت سمادتهما سمادة بالغة عندما نزلا من السفينة فجلسا على أقرب مقهى من الشاطئ ، يشربان القهوة . وفي اليوم التالي لبسا الثوب الرسمي وذهبا لقبض المتجمد من المعاش . ولست أستطيع الاخبار عن مقدر هذا المعاش ولكنهما لم ينسبيا الخادم ، فقد أهديا إليه زجاجة من الويسكي وخمسة قروش صحيجة

عبر اللطيف النشار

تمتع يا خادم !

طويلاً متيناً فسلمه اليهما واستأذن في السماح له بالراحة فقيدها بالحبل وأذنا له بأن ينام في ظل الشجرة المجاورة وزاد حذق الخادم في تهئية الطعام فزاد الموظفان بدانة وصحة . وقال أحدهما للآخر وهما يتناولان طعام الافطار : « ما رأيك يا صاحب السعادة ؟ هل تعتقد أن قصة برج بابل قصة رمزية أم قصة واقعية ؟ »

فقال : « إنها بلا شك قصة واقعية ؛ والدليل على ذلك كثرة ما في العالم من اللغات . وإلا فكيف تنشأ اللغات لولا تبايل الألسن ؟ »

قال الآخر : « وهل تعتقد أن قصة الطوفان صحيحة ؟ » فقال صاحب السعادة : « نعم بغير شك . ودليها وجود أنواع كثيرة من الحيوان » وتناول عدد الوقائع الرسمية فأخذ يقرأ للمرة العاشرة من أوله الى النهاية

لكن السأم دب الى نفسيهما ، فقد كانا يذكران ثيابهما الرسمية ومعاشهما وطاهيهما في بطرسبورج فتذرف عيونهما الدمع

وقال أحدهما : لأعرف كيف شارع بوديشسكايا الآن يا صاحب السعادة » فقال : لا تذكري به فقد كاد يقتلني الحنين الى الوطن »

قال الآخر : « إن الحياة هنا لذيدة لا عيب فيها ، والسكن الجميل يتوق الى ندى أمه ، ونحن نتوق الى رؤية بلدنا والى ارتداه ثيابنا الرسمية في يوم قبض المعاشات على الأقل

قال صاحب السعادة : « إن الملابس الرسمية حتى ولو كانت من الدرجة الرابعة تسر الانسان وتنسيه متاعبه واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى لكي يعودا الى شارع بوديشسكايا ، وقد كان من حسن الحظ أن هذا الخادم الذي يعرف كل شيء قد عرف هذا الشارع أيضاً ؛ وكان أيضاً خادماً في

جزاء الاجتهاد

للكاتب الانجليزي ريتشارد جارت
بقلم الاستاذ عبد الحميد حمدي



ولكن أباهما كان أكثر تنبهاً الى حديثهما .
قال لهما يوماً :

— أخشى يا ولدي أن تكونا — في دراستكما
وتقديراتكما المختلفة — قد نظرتما الى قوانين بلادكما
والا لأدركتما أن الانسان لا يصيب الثروة التي
يصبو إليها بالوسائل التي صورتموها لنفسيكما
فسأل الفتيان أباهما :

— ما معنى ذلك يا أبانا ؟

فأجاب الشيخ :

— اقد قال آباؤنا بحق إن الاحترام الواجب
علينا لعظماء الرجال الذين نعبدهم في هياكلنا بما نحن
مدبنون لهم به من وسائل الحياة ، هذا الاحترام
لا يمكن إلا أن يتأذى اذا حاول نسلهم أن يكسفوا
شمس عظمته وصيتهم بمخترعاتهم الجديدة ، أو اذا
هم تجرأوا على أن يصلحوا ما يحسبونه غير صالح من
أعمالهم . وعلى ذلك قد حرم على الناس بأمر من
الامبراطور سوين أن يخترعوا شيئاً ، كما حرم عليهم
بأمر من الامبراطور ووشي أن يحسنوا شيئاً من
الاختراعات التي وجدت حتى الآن . ولقد فصل
سلفي ، في المركز المتواضع الذي أشغله ، من عمله ،
لقوله انه يرى من الأفضل أن تكون العملة مستديرة

في الصين ، وفي حكم أسرة تانج^(١) ، في مستهل
القرن السابع المسيحي ، عاش حاكم صيني عالم
ولكنه فقير . وكان للرجل ثلاثة أبناء : فورسي
وتورسن ووانج -- لي ، وكان الأولان شابين نشيطي
العقل ، يجهدان نفسيهما دائماً في البحث عن شيء
جديد مفيد . وكان وانج -- لي ماهراً ولكن في هذه
الأماب التي تتطلب الذكاء ، وقد تفوق في هذه
الأماب إلى مدى بعيد

وكان فورسي وتورسن دائماً يتحدث أحدهما
الى الآخر في الاختراعات العجيبة التي سيخترعانها
حتى بلغا سن الرشد ، وفي الثروة والصيت البعيد
اللذين سينممان بهما إذ ذاك . ولم يكد حديثهما
يصل الى أذني وانج -- لي الذي لا يرفع عينيه إلا
نادراً عن رقعة الشطرنج التي يحل عليها مسائله

(*) ولد ريتشارد جارت سنة ١٨٣٥ وتوفي سنة
١٩٠٦ وشغل وظيفة أمين الكتب المخطوطة بالمتحف
البريطاني من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩٩ واشتغل في
ساعات فراغه بوضع كتابه « غسق الآلهة » الذي نقلت عنه
هذه القصة

(١) أسست أسرة تانج العظيمة سنة ٦١٨ ومؤسسها
هو لي يوون الذي اتخذ لنفسه اسم كاو -- تاو ، وفي عهد
هذه الأسرة انتشر نفوذ الصين وشهدت فترة نجاح استمرت
أكثر من ثلاثة ألاف عام

بدل أن تكون مربعة ، كما هي الآن ، وأنا شخصياً
قد تعرضت لفقد حياتي لمحاوأتي الجمع بين مبرد
صغير وزوج من ملاقط الشعر ، فقال الفتيان :
— اذا كان هذا هو الشأن فليس وطننا بالبلد
الذي يصلح لأن نعيش فيه

وعانى الولدان أباهما وترك البيت غير مودعين
أخاهما وأجلى إذ كان منهما في حل مسألة من
مسائل الشطرنج . وقبل أن يفارق أحدهما الآخر
اتفقا على أن يعودا الى الاجتماع في هذه النقطة
نفسها بعد ثلاثين سنة مزودين بالثروة التي لم يكونا
ليشكا في أنهما سيحصلانها باستغلال مواهبهما
الاختراعية في البلاد الأجنبية . وتماهدا فوق ذلك
أنه اذا خان الحظ أحدهما فلم يحصل على جزاء مجهوده
فان الآخر يشاطره ثروته

وقصد فورمين الى مهرة الصناع الذين يقطعون
أحرف الكتابة من الخشب الصاب ، لاستعمالها
في طباعة الكتب ، حتى إذا وقف على أسرار
صنائعهم قصد الى صانع السبائك النحاسية فدرس
عنده طريق صناعة أمهات الحروف من النحاس ؛
فلما انتهى من ذلك أيضاً قصد الى عالم ممن أكثروا
السياحة في أرجاء الدنيا المختلفة فتلقى عليه اللغات
اليونانية والفارسية والعربية . ثم صب عدداً من
الحروف اليونانية في قوالب من النحاس ، ووضعها
في كيس مزوداً نفسه في الوقت نفسه بعدد من
الحروف الخشبية التي قطعها بنفسه ، وسافر باحثاً
عن الثروة . وبعد أن عانى الكثير من المتاعب
وتعرض للكثير من الأخطار . وصل الى بلاد
فارس ، وسأل أهلها عن الملك العظيم

فكان الجواب على سؤاله :

— إن الملك العظيم قد مات ، وقد فصل رأسه
عن جسمه فصلاً تاماً ، ولم يبق في فارس ملك
لا عظيم ولا صغير
فسأل الفتى :

— وأين أستطيع أن أجد ملكاً عظيماً آخر ؟
فأجابوه :

— في مدينة الاسكندرية حيث أمير المؤمنين
مجد في نشر دينه
ف قصد فورمى الى الاسكندرية حاملاً قوالبه
وحروفه

ولم يكدهم يجتاز أبواب المدينة حتى رأى سحابة
هائلة من الدخان تكاد تحجب المدينة كلها عن
الأنظار . وقبل أن يتمكن من السؤال عن سبب
هذا الدخان أقبل عليه الحرس فقادوه الى حضرة
الخليفة عمر^(١)

(١) لعل الكاتب قد اختلط عليه الأمر من تشابه اسم
عمر باسم عمرو ، فالخليفة عمر بن الخطاب لم يحضر إلى مصر
والذي فتحها هو القائد عمرو بن العاص ، وقد نسب المؤلف
بعد ذلك إلى عمر الأمر بحرق مكتبة الاسكندرية معتمداً
في ذلك على رواية مكذوبة فندها المؤرخون المدققون ومن
بينهم بعض المستشرقين

على أنه مما يؤسف له أن بعض كتب التاريخ التي تدرس
الآن في المدارس الثانوية تسجل على عمرو بن العاص هذه
الرواية المكذوبة دون إشارة إلى كذبها ، وهذه الكتب
قد اشترك في تأليفها بعض كبار الأساتذة المصريين ؛ فإذا
جاز لنا أن نلتمس العذر لمؤلف هذه القصة التي قد يكون
الخيال والفن القصصى للوصول إلى المغزى الذي يقصد إليه
هما اللذان حملاه على الأخذ بهذه الرواية المكذوبة ، كما حملاه
على اختراع العبارات التي نسبها بعد ذلك إلى عمر ، فأى عذر
نلتمسه للأساذ المصريين الذي يثبت مثل هذه الرواية المكذوبة
ضارباً صفحاً عن الروايات الصادقة التي أثبتتها المحققون من
المؤرخين وفندوا بها هذه الفرية التي دست على تاريخ عمر
ابن الخطاب وقائده عمرو بن العاص ؟

فقال فورسى :

— ليعلم الخليفة أن مواطنى الصينيين قد جمعوا بين النقيضين ؛ فهم فى وقت واحد أعقل أهل الأرض وأغباهم . فقد اخترعوا فن نشر العلم والمعرفة ، وهو الفن الذى لم يوفق قط الى معرفته عقلاء الهند واليونان ، ولكنهم لم يتعلموا بل وانهم ليأبون أن يتعلموا كيف يخطون الخطوة الواحدة الصغيرة الضرورية بعد ذلك لجمال هذا الاختراع صالحاً من الوجهة العامة لجميع أبناء العالم ثم قدم الفتى للخليفة ما يحمل من قوالب وحروف كاشفاً له عن السر كله فى فن الطباعة

فقال عمر :

— بلوح لى أنك لا تعلم أننا بالأمس قد أمرنا بحرق جميع الكتب واخفائها من فوق الأرض ، لأن ما نحويه لم يكن يخرج عن أحد أمرين : فهو إما مخالف لما جاء فى القرآن فيكون فى هذه الحال كفراً ، وإما أن يكون متفقاً مع ما جاء فيه فيكون فى هذه الحال زائداً على الحاجة وليس ثمة ما يدعو لبقائه . . . ويلوح لى فوق ذلك أنك غير عالم بأن الدخان الذى يحجم على المدينة إنما مصدره مكتبة الكفار التى أحرقت بأمرنا .

وعاد الرجل الى الصين فى بطاء متحملاً مختلف صنوف الآلام مستجدياً قوته على طول الطريق . ووصل الى السكان الذى اتفق هو وأخوه على الاجتماع فيه ، فى اليوم الأخير من السنة الثلاثين من مغادرته إياها . فلم يجد أثراً لبيت أبيه المتواضع ، ولكنه وجد مكانه قصرأ شاهقاً ، تحيط به الحدائق والمراش وتكتنفه أشجار الصفصاف وقنوات الماء

تقطعها الجسور وتحوم حولها الطيور البديعة الألوان

فقال الرجل يحدث نفسه :

— ليس من شك فى أن تورسن قد أصاب غنيمته ولن يأتى أن يشاطرنيها على مقتضى اتفاقنا وما كاد ينتهى من هذه الكلمات التى خاطب بها نفسه حتى سمع من ورائه صوت انسان ؛ فلما التفت رأى رجلاً أسوأ منه حالاً يسأله الاحسان ، ولم يك هذا الرجل غير تورسن

فتعانق الاخوان وقد انهمرت دموعهما ، وبعد أن سمع تورسن حكاية ما أصاب فورسى أخذ يروى قصته قال :

— لقد قصدت الى هؤلاء الذين يعرفون سر المسحوق الذى اصطلح على تسميته تراب النار ، الذى لم يتمكن سوين من منعنا من اختراعه ، وان كان ووشى قد اهتم بمنع استعماله الا فى الألعاب النارية . . . وبعد أن وقفت على سر هذا المسحوق وضعت كمية معينة منه فى أنابيب بجوفة صنعتها من الحديد والنحاس ، ووضعت فوقها كوراً من الرصاص تتفق أحجامها مع تجاويف الأنابيب ، ثم وجدت اننى بايصال اللهب الى تراب النار من أحد طرفى الأنبوبة أستطيع أن أدفع الكرة الرصاص من الطرف الآخر بقوة تمكنها من اختراق ثلاثة من دروع المحاربين فى وقت واحد ؛ فالتأت برميلاً من هذا المسحوق وخبأته هو والأنابيب طى سجاجيد حملتها على ظهور الثيران ، ثم رحلت قاصداً مدينة القسطنطينية ، ولست أروى لك الآن حكاية المتاعب التى اعترضتنى فى هذه الرحلة ، ويكفى أن تعلم أننى وصلت آخر الأمر نصف ميت

وجه ذلك الرجل الصينى لم يكن سوى وجه أخينا
وانج لى

« ولو أنى كنت فى ظرف غير الذى كنت
فيه لأجهدت نفسى فى الوقوف على معنى ذلك الذى
شهدت ، ولكن لهفتى كانت شديدة وكذلك
كانت حاجتى وجوعى . فبحثت عن صناعات الأسلحة
المبرزين ، واستطعت بمشقة كبيرة أن أجمعهم كلهم
فى مجلس واحد . وقدمت اليهم الأنايب وتراب النار
وانفذت رصاصتى بسهولة من أحسن درع استطاعوا
أن يقدموه »

فصاح صانع دروع الصدر : « من ذا الذى
يحتاج الآن الى دروع الصدر ؟ »

وقال صانع خوذ الرأس : « أو الخوذ ؟ »
وقال كبير صناعات التروس : « أنا لم أكن
لأخذ خمسين بيزنة ثمناً لهذا المحن ، فما فائدته الآن ؟
وقال صانع السيوف : « وستقل قيمة سيوفى »
وقال صانع السهام فى لهجة حزينة : « وسهامى
ستصبح عديمة القيمة »

وصاح أحدهم : « إن هذا لا عمل دنىء »
وصاح آخر : « بل انه لسحر ساحر »
وصاح ثالث فى صوت قاصف : « إني أنا
التاجر الشريف الملم بمهنتى أقول ان ما ترونه ليس
إلا وهما - ولكنى ببرهن على صدق رأيه ألقى بمجيدة
متأججة فى برميل ، فطار الجميع جملة مع سقف
المنزل فى الهواء ، وهلكوا جميعاً ، ولم ينج سوى
وقد فقدت شعرى وجلدى . وشئت فى الحال
حريقاً كالت نلث مدينة القسطنطينية
« ووجدتني بعد أيام راقداً على فراش السجن

من التعب والمشاق مجرداً من كل شيء إلا بضاعتى ،
واستطعت بتقديم مامى من السجاجيد رشوة
لأحد الضباط أن أحصل على الاذن بالدخول على
الأمبراطور^(١) والتحدث ، اليه وقد وجدته منهمكا
فى لعب الشطرنج يكدح رأسه فى حل إحدى مسائله
« وقد أخبرته أنى كشفت سرّاً يمكنه من أن
يصبح سيد العالم ويساعده بنوع أخص على طرد
المسلمين الذين يهددون إمبراطوريته بالحرب

فقال لى : « يجب أن تلاحظ أنه ليس من
المحتمل أن أستطيع الاصغاء اليك قبل أن أنتهى من
حل هذه المسألة ، ومع ذلك فلكيلاً يقول انسان
إن الأمبراطور يهمل واجباته منهمكا فى تسلية
سخيفة ، فانى سأحيل اختراعك على صناعات
الأسلحة المبرزين فى عاصمتى ، ثم أعطانى كتاباً الى
الصناع وعاد الى اللعب ، وعند ما تركت القصر
حاملآ رسالة الأمبراطور صادفت فى الطريق موكباً
عظيماً . فالفرسان والمشاة الراكضون ، والمازفون
على الموسيقى ، والمنادون ، وحاملو الأعلام - كل
هؤلاء يحيطون برجل صينى يجلس فى سمت
تحت مظلة ذهبية فوق فيل مسرج بسرج نفيس ،
وكانت جدياته مضفرة بالورود الصفراء ، وكان
الموسيقيون يعزفون ويدفون الطبول ، وحمل الأعلام
يلوحون بأعلامهم فى الجو ، بينما المنادون يصيحون :
هكذا يحتفل بالرجل الذى يغتبط الأمبراطور
بتكريمه - وان لم أكن مخطئاً خطأ كبيراً فان

(١) الأمبراطور كونستانس الثانى الذى حكم من سنة
٦٤١ إلى سنة ٦٦٧ وقد حارب ضد العرب المسلمين الذين
استولوا من أملاكه على الشام وقبرص ورودوس وأفريقيا

لغير التسلية المجردة من كل غاية ، ولم أفكر قط في استخدامها لجمع الثروة إلى أن سمعت يوماً عن طريق المصادفة أن الشعوب الغريبة تجهل هذه اللعبة جهلاً تاماً ، وحتى إلى هذه اللحظة لم أفكر في كسب المال عن طريق الشطرنج ، ولكنني شعرت بشفقة شديدة على هؤلاء البرابرة المتأخرين حتى لقد أحسست أنني لن أندوق شيئاً من الراحة قبل أن أنير عقولهم ، وتحقيقاً لهذه الرغبة الملحة قصدت إلى مدينة القسطنطينية فاستقبلت هناك كرسول من السماء ، وقد بلغ من تأثيري في القوم أنه لم يمض غير قليل حتى أصبح الإمبراطور ورجال دولته لا يفكرون في شيء غير لعب الشطرنج ليل نهار ، وحتى شملت الفوضى شئون الإمبراطورية واستطاع المسلمون أن يهاجموها في قوة وعنف . وتقديراً لخدماتي للإمبراطور رأى أنت بكانثني بمظاهر التكريم التي رأيت أنت يا أخي نموذجاً منها عند باب القصر

« وهكذا بعد أن وقع الحريق الذي تسببت أنت فيه وإن لم يكن عن عمد ، تحدث الناس بأن الإمبراطور كان يعمل على تخريب عاصمته بالآمر مع ساحر أجنبي ، يقصدونك بذلك . وبعد فترة قصيرة تأمر كبار الضباط ودخلوا مخادع الإمبراطور بفكرة خامه عن العرش ، ولكنه أعلن أنه لن يتنازل بحال من الأحوال قبل أن ينتهي من دست الشطرنج الذي كان يلعبه من في تلك اللحظة ، فوقف الضباط ينظرون إلينا ، ولم يلبثوا أن اهتموا بالعبث ، وبدأ النزاع بينهم على أينا سيفوز ؛ وبيناهم في خصامهم أقبل الضباط المخلصون وقبضوا

وقد شفيت من بعض جروحي ، مصفياً في حزن إلى مشادة بين اثنين من حراسي حول ما يجب أن أعامل به : هل أحرق أو أدفن حياً ؟ وبينما المشادة قائمة وصل إلى السجن أمر من الإمبراطور بإطلاق سراحي ، فقرأ الحرس ممتضين شاعرين بشيء من الضمة ، وكان نص عبارته : ادفنوه خارج المدينة . وقد عجبوا من اين ذلك الحكم ومع ذلك أنفذوه بحماسة شديدة حتى وجدتني قد طرت في الهواء وسقطت وسط البوسفور ، حيث التقطتني مركب صيد وأزالت على الشاطئ الأسوي ؛ ومن هناك قفلت راجعاً إلى بلادى استجدي القوات على طول الطريق

والذي أراء الآن هو أن نستعطف رب هذا البيت العظيم ونستثير شفقتة ، فقد يرأف بنا عندما يعلم أننا كنا نعيش فيما مضى في البيت الصغير الذي أدخل الطريق لإنشاء قصره العامر»

واجتاز الرجال باب الحديقة ومشيا على استحياء متجهين إلى القصر ، متأهبين للوقوع على قدمي سيده ، ولكنهما لم يفعلا ، لأنهما قبل أن يحاولا الركوع عرفاني ذلك السيد أخاهما وأنجلي ولم يستطع وأنجلي أن يعرف أخويه لأول وهلة ولكنه لما عرفهما آخر الأمر أسرع فقدم إليهما كل ما يحتاجان إليه ، حتى إذا سد حاجتهما من الطعام والشراب وارتديا فاخر الملابس قصا على أخيهما قصتهما ، وسألاه أن يقص عليهما قصته فقال :

« أخوي ... إنني بأنهما كي في لعبة الشطرنج

النييلة التي اخترعت لحسن الحظ قبل عصر الإمبراطور سوين بزمان طويل ، لم أكن أقصد

« وأخيراً غادرت القسطنطينية عائداً الى بلادى
مزوداً بالثروة الطائلة في ركب مريح أقطع الطريق
مراحل على ظهور الابل السريعة . فلما وصلت الى
هنا اجتمعت بيت أبى الصغير وأنشأت في مكانه هذا
القصر العظيم حيث أعيش مفكراً في حل مسائل
الشطرنج وفي أقوال العقلاء مقتنعا بأن الشيء
الصغير الذى تعرفه الدنيا وتبذل الى الأخذ به خير
من الشيء العظيم الذى لم يعرفه الناس بعد ، فهم
لا يستطيعون تقدير قيمته . فالعالم ليس إلا طفلاً
كبيراً يفضل أسباب التسلية على وسائل الثقافة والتعلم
فسأله أخواه في دهشة وفي صوت واحد :

— اوتسمى الشطرنج مسلاة ومأهامة ؟

عبد الحميد محمدى

عليهم . وقد ضاعف هذا الحادث مكانتى احتراماً
لدى الامبراطور ، ثم لم تلبث هذه المسكنة أن
تضاعفت مرة أخرى بعد ذلك الحادث بقليل عند
ما لعبت مع أمير البحر المسلم الذى كان محاصراً
المرفأ فربحت منه أربعين سفينة محملة غللاً بدأت
من قحط المدينة رخاء ويسراً

« وسأنى الامبراطور أن آتمنى عليه ما شئت
فقلت ان كرمه لم يبق لى ما أطلبه غير حياة مواطن
مسكين علمت أنه مسجون بتهمة محاولة حرق المدينة .
فأمرنى الامبراطور أن أكتب أمر العفو عنه
بيدى . وثق يا تورسن اننى لو عرفت أن ذلك
السجين هو أنت لأظهرت من الاهتمام بشخصك
ما يرضيك

شركة بيع المصنوعات المصرية نعمل على احياء الصناعة المصرية ونروجها معرض دائم لكافة منتجات البلاد

تعرض

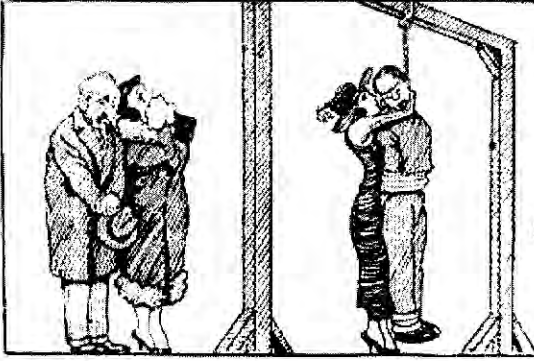
المنسوجات الصيفية

من جميع الأنواع : قطن . حرير . كتان

بضاعة جديدة لهذا الموسم ، صنع شركات بنك مصر

التي أجمع الكل على متانتها وتفوقها

شاهدوا مبتكرات الصناعة الحديثة قبل شراء حاجياتكم



الذراع الذابذة

لِلشاعِر الانجِلِيزِي توماس هاردي
بِقلمِ نَظْمِي خَلِيل

— إِمضِ بَنِيَّ وخُبرني إِذا كانت سماءُ
أو بِيضاء ، طَوِيلَة مِثْلِي أو قَصِيرَة ، وَإِذا كانت
تَظْهَر رَبَّة بَيْت أو فَتاة ناعِمة الأَظفار لَمْ تَعْتَد بَعْدَ
حَيَاة المَزل

فانطَاق الابنِ إِلى السُوق ، وَلَمْ يَكْد يَمُدَّ عَنِ
مَزلِهِ حَتَّى رَأَى وَالِدَهُ يَسِيرُ وَبِجَانِبِهِ فَتاةٌ تَصْغُرُهُ
بِسَنوات . كانَ وَجْهُها صافِياً صَبوحاً كَأَنَّهُ نَورٌ
مُنْبَعِثٌ بَيْنَ خِثائِلِ الوَرْد . فَسَدَّ الوَلَدُ إِليها بِبَصَرِهِ
بِالرَّغْمِ مِمَّا كانَ يَنْوُءُ بِهِ ظَهْرُهُ ؛ وَكانَتِ الشَّمْسُ قَدْ
غَمَرَتْ وَجْهَ تلكَ الفَتاةِ فَبَرَزَتْ مِلامِحُهُ قَويَةً جَذابَةً
فاغْتاظَتِ الزَوجةُ الشابةُ « جَرْتَرود » مِنْ ذلكَ
الصَبِيِّ الَّذِي يَحْدِثُها بِنَظراتِهِ القَويَةِ العَاطِويلَة فَقالَتِ
لِزَوجِها :

— أَنظُرْ إِلى ذلكَ الصَبِيِّ الفَقيرِ كَيفَ يَحْدِثُني
بِالنَظَرِ !

— أَجَل ، قَدْ يَكُونُ أَحَدُ سَكانِ تلكَ القَريَةِ
— أَظنُّهُ يَمُرُّنا
— أَجَل ، يَجِبُ أَنْ تَتَوَقَّعَ مِثْلَ هَذهِ النَظراتِ
فِي مِثْلِ هَذا المَوقِفِ الجَدِيدِ

والآنَ — هِيا ، لَمْ يَبْقَ عَلى مَزلِنا إِلا مِيلٌ واحِدٌ
عَلَّنا نَبْلُغَهُ قَبْلَ أَنْ يَهْجُمَ اللَّيْلُ
أَما الوَلَدُ فَلَمْ يَكْد يَصِلُ إِلى المَزلِ حَتَّى ابْتَدَرَتْهُ
أُمُّهُ قائِلَةً :

غَصَّ الطَريقُ بِطَوائِفِ القَروياتِ وَهِنَّ راجِعاتُ
إِلى مَنازِلِهِنَّ الرَبِيعَةِ الصَغِيرَةِ يَتَجاذِبْنَ شَتَّى
الأَحاديثِ مِمَّا يَتَصلُ بِحَياتِهِنَّ الزَوجِيَةِ ، حَتَّى إِذا
مادَنونَ مِنْ نَهايةِ الطَريقِ هَمَسَتْ إِحداهُنَّ بِصَوتٍ
خافِضٍ كَأَنَّهُ خارجٌ مِنْ جَوفِ بَقَرَتِها :

— « أَلا خَبراني ، أَبِئَتِرنَ السَيِّدَ « لُوج »
زَوجَهُ الجَدِيدَةَ غَداً ؟

— لَقَدْ بَلَغَني هَذا
— أَلَمْ تَريها ؟ إِنَّهُم يَقولونَ إِنَّها فَتاةٌ ضَئِيلَة
الجِسمِ مَورَدَة الخَدَينِ — قالَتِ هَذا ثُمَّ التَفَتَتْ إِلى
بَقَرَتِها وَهِيَ تَضْرِبُ بِذَيلِها فَيَكادُ بِصافِحِ وَجْهِها
— فَأَجابَها إِحدى صاحِباتِها : « إِنَّها تَصْغُرُهُ
بِسَنوات . أَتَمَرِّفينَ كَمَ يَبْلُغُ مِنَ العَمرِ الآنَ ؟

— حَوالِي الثَلاثينِ
ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلى مَنازِلِهِنَّ ، وَفِي السَباحِ التالِي
نَادَتْ « رُودا » زَوجَ السَيِّدِ « لُوج » القَدِيمَةَ
ابْنِها وَقالَتِ لَهُ : « لَقَدْ بَلَغَني أَنَّ وَالِدَكَ سَيَتَزَوَّجُ
مِنْ زَوجَتِهِ الشابةِ اليَومِ — إِنِّي أُرِيدُكَ الآنَ أَنْ
تَذهَبَ إِلى السُوقِ حَيْثُ يَمَكُنُكَ أَنْ تَراها . فَقالَ
لِها الابنُ : أَعاظِمُ أَبي عَلى الزَواجِ إِذنَ ؟

فأَجابَته أُمُّهُ : نَعَمْ . . . يَمَكُنُكَ أَنْ تَراها وَأَنْ
تَحدِثَني عَنِ بَعضِ قَسماتِ وَجْهِها
— أَجَل يَأُمِي

لأن جميع الأعين كانت ترمقها
ولم يكد الصبي يستقر في منزله حتى بادرته
أمه قائلة :

« إيه ! حسن »

فأجابها ابنها إنها ليست طويلة بل قصيرة
فتنهدت أمه فقد شعرت بشيء من الارتياح
ثم استأنف الولد كلامه فقال : ولكنها جميلة
جداً ، جداً يا أمي ، بل هي فائنة . والواقع أن جمال
هذه الفتاة قد ملك زمام قلب ذلك الصبي الناضج .
فأجابته أمه : كفى . كفى . هذا كل ما أريد أن
أسمعه . هيا إلى المائدة . مدعائها الخوان . إن
الأرنب الذي اصطدته طرى شهى ، ولكن احذر
أن يصطادك أحد

ولكنك لم تخبرني ما نوع يديها

— لم أرها فقد كانت لابسة قفازها

— ماذا كانت تلبس هذا الصباح ؟

— لقد رأيتها في ثوب أبيض هفهاف تمبث
به نسبات الريح كلما هبت فتمسكه بيديها مخافة أن
يتطاير عن بدنها . أما والدي فقد كانت تملو وجهه
ابتسامة الرضى ويتبختر في سيره كأنه أحد النبلاء
ثم توالى زيارات الصبي لهذين الزوجين كلما
شمرت أمه بالحاجة إلى أوصاف جديدة لهذه الزوجة
الشابة ، ثم أخذت تكوّن من هذه الأوصاف صورة
ذهنية لتلك الفتاة التي لم ترها بعينها

خلت الأم ذات مساء إلى نفسها ، وقد أوى
ابنها إلى فراشه وبقيت هي وحيدة تنقلب في
فراشها تطلب النوم فيتأبى عليها ، ثم أخذت
تستجمع في مخيلتها هذه الأوصاف التي سمعتها من
ابنها حتى غابت في نومها فلاح لها شبح تلك الفتاة
يحوم أمام عينيها وقد ارتدت ثوبها الأبيض الهفهاف

— ألم ترها ؟

— بلى ، رأيته

— أهي سيدة تماماً ؟

— نعم ، إنها مكتملة الشباب وفي عينيها بريق
المرأة الناضجة

— طبعاً ، وما لون شعرها ووجهها ؟

— إن شعرها كضوء النهار ووجهها كدمية
الصبية

— إذن عيناها ليستا سوداوين كعيني

— لا . إنها تميلان إلى الزرقاء وقها صغير

جميل بشفتين رقيقتين تنفرجان عن ابتسامة حلوة
وأسنان مفضضة لامعة

— وهل هي طويلة ؟

— لم أر طولها ، لقد كانت جالسة

— إذاً عليك أن تذهب إلى الكنيسة غداً

فستجدها هناك . إذ ذهب وراقبها في مشيتها
وأخبرني إذا كانت أطول مني

— حسن يا أماء ، ولكن لماذا لا تذهبين

أنت وترينها بنفسك ؟

— بنفسى ! إني لن أسمع لنفسى أن أنظر إليها

ولو كانت تسير تحت هذه النافذة . لقد كانت مع
السيد لوج طبعاً فإذا قال أو فعل ؟

— لم يأت شيئاً جديداً

وفي اليوم التالي ألبست الأم ابنها ثوباً نظيفاً

وأرسلته إلى الكنيسة ؛ فكان أول من وصل

إليها وجلس في أحد المقاعد الأمامية ، وأخذ يراقب

جموع الوافدين ، وأخيراً جاء لوج ومعه زوجه

الشابة وهي تتمثر في مشيتها حياءً وخجلاً كما تفعل

كل فتاة في سنّها تظهر في المجتمع لأول مرة ،

ولكنها لم تنبّه إلى نظرات ذلك الصبي هذه المرة

ولكن وجهها كان قد عبثت به التجاعيد فبدت كأنها عجوز ، ثم شمردت أنفها قد جثمت فوق صدرها كأنها كابوس ثقيل ، ثم أخذ ذلك الحمل يزداد شيئاً فشيئاً حتى كاد يكظم أنفاسها فهبت من نومها واستجمعت قواها ودفعت ذلك الشبح عن نفسها وهي تصيح : « يا إله السماء ... » ثم جلست على حافة سريرها والعرق البارد يتساقط من جبينها : لم يكن هذا حلماً بل كانت هي بعينها ، لقد لمست ذراع غريمها وهي تدفعها عن نفسها . لمست الذراع بلحمها وعظمها — كما توهمت ذلك — ثم نظرت إلى الباب فلم تر شيئاً

لم تذق النوم في تلك الليلة ، فلما جاء الصباح كان وجهها شاحباً كوجوه الموتى ، وكانت جسمها يهتز كأنه القصب المروض ، فلم تقوَ على حلب اللبن إذ كان ينصب بعيداً عن الحلب ؛ فقد كانت لا تزال تشعر أنها ممسكة بذراع غريمها . فلما رأى ابنها منها ذلك قال : « ماذا حدث لك يا أماء الليلة الماضية ؟ لقد سقطت عن سريرك لاشك »

— هل سمعت وقع جسم ؟ ومتى ؟

— حوالى الساعة الثانية

ثم سمعت الأم وأخذت تتناول طعامها في تراخ وكسل ؛ ولم يبرح الابن المنزل ذلك اليوم بل بقى فيه يماون أمه في عملها . وفي الساعة الحادية عشرة جاءت المرأة لم تكذب تنظر إليها حتى تذكرت ذلك الشبح الذى ظهر لها في حلمها الليلة الماضية ، ولكنها لم ترفى وجهها تلك التجاعيد والخشونة التى رأتها في حلمها ؛ فقد كان صوتها حلواً رقيقاً ، وإشاراتنا لطيفة بالغة ، وابتساماتها لذيدة وديمة ، حتى لم تعد تصدق حواسها . لقد جاءت « جرود » الزوجة الشابّة زور صاحبها حاملة إلى الصبي حذاءً جيداً وبعض اللعب

ثم أخذت تتردد على المنزل من يوم إلى آخر حتى أنست كل واحدة الى صاحبها . وفي ذات يوم جاءت « جرود » وقد امتقع لونها واستولى عليها الهزال والسأم ، فسألها « رودا » عن عاتها ، فأجابتها : « إني أشكو مرضاً حيرنى وأعيانى وإن لم يكن ذا خطر ، ثم كشفت عن ذراعها اليسرى فنظرت إليها « رودا » وسرعان ما تذكرت تلك الذراع التى أمسكت بها في حلمها ، ثم توهمت أنها ترى فيها آثار قبضتها وما تركته أصابعها الأربعة عليها فسألها : كيف حدث هذا ؟ فأجابتها « جرود » وهي تهز رأسها : « لأدرى ؛ ولكن حدث أن كنت نائمة فرأيت فى حلمى أنى انتقلت الى مكان غريب وجثاء شمردت بألم ينتاب ذراعى فاستيقظت وأخبرت زوجى بالأمس فهو نه على وقال إنه سيزول عما قليل » — منذ كم حدث هذا ؟

— منذ أسبوعين فى الساعة الثانية

لقد كانت هي الليلة والساعة التى رأت فيها « رودا » ذلك الشبح ، فشمردت أنها آثمة بجرمة . وسرعان ما هجمت عليها تلك الأفكار القديمة ولاح أمامها شبح ذلك الحلم كما لو كان قد حدث بالأمس ؛ ثم قالت فى نفسها بعد أن ودعت صاحبها : « أوه ! أيمكن أن يكون هذا ؟ أيمكن أن أتسلط على غبرى وأسبب لهم أضراراً على غير إرادتى ؟ ثم مضت تفكر فى شتى الحلول

تتابعت الأيام وذراع « جرود » تزداد ذبولاً وجفافاً وشكوك الاثم تزداد يقيناً حتى لقيتها أخيراً وقالت لها : « أرجو أن تكون ذراعك قد صحت تماماً » فأجابتها « جرود » : « لا ، إنها تزداد سوءاً على سوء ، فقد اشتد بى المرض حتى لأقوى الآن على احتماله »

— يجدر بك أن تذهبي الى طبيب

على هذه الفتاة المسكينة بسوء نيتها إذ لم تكن تبني أن تسبب لها المآل جسمياً ، ثم أخذت تفكر فيما تظنه تلك الزوجة لو علمت بأمر ذلك الحلم ، ثم رأت أنها إذا كتمت عنها ذلك الأمر كان هذا خيانة أخرى منها

أخذت تفكر في هذا طول الليل حتى إذا ما جاء الصباح خرجت لتري زميلاتها وقد شمعت بحاجة قوية الى هذا اللقاء ، فلم تكذبوا من المنزل حتى خرجت إليها « جرترود » وحببتها بحبة الصباح فقالت « رودا » : « أود أن تكون ذراعك ... »

— لقد قيل لي إنه ليس هناك إلا طريق واحد أعرف به علة هذا المرض ، وقد أعرف الدواء أيضاً ، وهي أن أذهب الى ساحر يقيم في الاقليم المجاور لنا ، ولكننا لا نعرف إن كان حياً أو ميتاً ، ولا أذكر الآن اسمه ، ولكنني سمعت أنك تعرفين عنه الكثير . إنني أحاول أن أتذكر اسمه . فقالت صاحبته وقد امتقع لونها : « أليس اسم الساحر « ترندل »

— آه نعم هو بعينه . أهو حي ؟

— أظن هذا

— واسكن لماذا يدعونه ساحراً ؟

— لأن له السلطان على من حوله من الناس

— ما أسخف عقول هؤلاء الناس الذين يعتقدون في مثل هذه الخرافات . لقد ظننت أنهم يعمنون علماً طبيعياً . سوف لا أفكر في مثل هذا الرجل ثانية

فشمرت « رودا » بشيء من السكينة والطمأنينة فقد كانت تخشى أن يفضح ذلك الرجل أمرها عند صاحبته فتتظار إليها كأنها شيطانة في صورة إنسان ، كانت السبب في تشويه جمالها والقضاء على سمادتها لم يمض على هذا يومان حتى جاءت « جرترود »

— لقد صحبتني زوجي الى أحد الأطباء ولكن

الطبيب لم يستطع أن يعرف علة مرضي بل نصحتني أن أضع ذراعي في ماء ساخن ، فعمات كما أمرني ولكن هذا لم يفدني شيئاً

— أتسمعين أن أراه ؟ فكشفت عن ذراعيها

وأشارت الى موضع الألم وكان هذا فوق المعصم . فلما رأت « رودا » ذلك لم تستطع أن تحبس عواطفها . لم يكن هناك أثر للجرح بل كان هناك آثار الأصابع الأربعة ، الأول تجاء المعصم والرابع تجاء الرفق

— يلوح لي أن هذا من قبضة يد ، فاني أرى

آثار أصابع هنا ، فأجابتها « جرترود » في ابتسامة ضيقة ضعيفة : « إن زوجي يقول أن أحد الشياطين هو الذي فعل هذا » فانتفضت « رودا » انتفاضة عنيفة وقالت : « إن هذا وهم ، ولو كنت مكانك لما صدقت » فأجابتها « جرترود » في شيء من التردد : « اني لا أهتم كثيراً بهذا لو لم يكن بي ما ينفرد زوجي مني أو يضغف من حبه لي . إن الرجال يقيمون وزننا كبيراً المظهر الخارجي »

— أجل ولكن زوجك لا يحب سواك

— نعم كان هذا في أول الأمر إذ كان غوراً

بي ؛ أما الآن ...

— يمكنك أن تستريه عن نظاره

— آه ، واسكنه يعرف مكان التشويه — قالت

هذا وهي تحاول حبس الدموع التي ملأت عينها — أَدْعُو لك بالشفاء من هذه العلة قريباً

ثم انصرفت « جرترود » وخات « رودا » الى نفسها وقد انتالت الأفكار على خاطرها حتى أصبح عقلها هدفاً لتلك الوسواس التي جررها عليها ذلك الحلم البغيض ، وقوى عندها ذلك الشعور بالاثم حتى أخذت تؤنب نفسها على ما ظننت أنها جالبتة

لها الرجل : ان الطب عاجز عن شفائك ؛ فان هذا من تدبير عدو . فانزوت « رودا » في نفسها وتراجعت الى الوراء أما « جرترود » فقد صاحت : « أى عدو ! » فهز الرجل رأسه وقال : « انك تعرفينه جيداً ، ولو أردت لأريتك اياه وإن كنت أنا نفسى لا أعرفه . فلما ألحت عليه « جرترود » أن يخبرها من هو أشار الرجل الى رودا بالبقاء في مكانها ، ثم قاد جرترود الى غرفة صغيرة وأجرى أمامها عملية السحرية فأحضر كوباً وملاء ماء وجاء ببيضة وكسرها على حافة السكوب فنزل الزلال في السكوب وبقي الملح ، ثم حل السكوب الى النافذة وأمر المرأة أن تنظر فيها ولكنها لم تستطع أن تبين ذلك الوجه الذى خيل إليها أنها تراه في السكوب . فلما خرجت كان وجهها أشد امتقاعاً ، ثم عادت الى القرية وقد شمعت رودا أن صاحبها قد تغيرت

فعند ما سألتها عما رأت أجابها في شيء من التحفظ والحرص : « لاشيء يستحق الذكر » ثم علا وجهها شحوب غريب حتى أصبح شبيهاً بذلك الوجه الذى رآته رودا في نومها . وبعد صمت طويل قالت جرترود :

أكنت أنت أول من فكر في هذا الساحر ؟
محجياً لو كان هذا ...

— لا . ولكنى لست آسفة على مجيئنا الى هنا . إن كل شيء مقدر مكتوب

ثم سارتا في الطريق دون أن تتحدنا كثيراً وقبل أن تفترقا قالت جرترود « ان الناس يتهمسون بأن علة مرضى سببها نظراتك الى . فامتقع وجه المرأة وغابت في تفكير عميق

ولم يأت الربيع حتى كانت « رودا » وابنها

الى منزل صاحبها وقالت لها إن ذراعى تردد سوءاً وأصبح الأمر جد خطير ، حتى فكرت ثانية في ذلك الرجل الذى حدثنى عنه وإن كنت لا أعتقد في أمثال هذا الرجل إلا أنى أشعر برغبة في زيارته الآن . أيعمد عنا كثيراً ؟

— نعم ، هو على مسافة خمسة أميال

— حسن سأمضى إليه — ألا تصحبينى

لتدلينى على الطريق ؟

فتمت « رودا » قائلة : « لست أنا » ثم أخذ الخوف بماودها من جديد خشية أن ينكشف أمر حلمها فتفقد صداقة صاحبها ، ولكنها لم تجد طريقاً للاعتذار وانفقتا أخيراً على أن يتقابلا عند نهاية الطريق حتى لا يراها أحد

استيقظت « رودا » في اليوم التالى وأخذت تفكر في شتى الحلول التى تخلصها من هذا المأزق ، ولكنها لم تجد بداً من الذهاب ، فتوجهت الى المكان المعين حيث قابلت صديقها ، وقد أخفت ذراعها في مئزرها ثم مضتا في سيرهما لا يتحدثان إلا قليلاً

لقد كان طريقاً طويلاً مقفراً ، وقد امتلأ الجو بالسحب فحجبت الشمس ، وأخذت الرياح تعول وتصفر وهى تهب فوق التلال ثم تهوى الى بطن الوادى

أما « جرترود » فقد كانت كلها فتحت موضوعاً للحديث ردت عليها صاحبها في إجابات مقتضبة محاولة إقفاله ؛ وكانت تسمر كلها تقدمت في الطريق أن شيئاً ثقيلاً يجثم على صدرها حتى كرهت أن تسير بجانب الذراع المربضة أو أن تدنو منها . وأخيراً جاءت الى الرجل ، فحيا « رودا » وقصت عليه « جرترود » قصة ذراعها ، فقال

قد تركا القرية

عنق أحد المشدوقين . فارتفعت المرأة لتلك الصورة التي رسمتها في ذهنها هذه الكلمات — ثم مضى الساحر في كلامه : على أن يكون هذا عقب إنزاله من المشقة مباشرة

فسألته الزوجة : « ولكن ما فائدة هذا ؟ » فأجابها الرجل : إن هذا يزيد في دورة الدم . عليك أن تذهبي إلى أحد السجون وتترقي إحدى ضحاياه . لقد طالما أرسلت إلى السجن عشرات النساء اللواتي جئن إلى يشكون ببعض هذه الأعراض . ثم ودعته المرأة وانصرفت وقد أبى أن يأخذ منها أجراً عادت المرأة إلى منزلها وهي تشك في كلام الساحر ولكنها بعد أن بنست من الشفاء اندفعت بأمل إعادة حبها المفقود بشفاء ذراعها إلى تحقيق فكرة ذلك الساحر وقد ذكرت كلماتها لها : « إن ما بأنى بالرقى يذهب بالرقى أيضاً . » فقضت مدة طويلة وهي لا تفكر إلا في المشدوقين حتى أن صلاتها لم تكن إلا ببعض هذه الكلمات : « اللهم اشفق لي أحد الأشقياء أو أحد الأبرياء !! » لم ترد أن تستعين بزوجها فقد كان يضيق بأفاعيل السحر ولا يؤمن بأعمال الشموذة

ثم جاءها يوماً يخبرها بعزمه على تركها يومين لقضاء أمور خاصة به ، ففرحت الزوجة لهذا الغياب إذ وجدت فيه فرصة لتحقيق غايتها . فلم يكذب غيب عنها حتى امتطت جواداً مطهماً أخذ يطوى بها الأرض حتى وصات أخيراً إلى السجن المقصود حيث تجد فيه ضحيتها التي ارتبطت سماتها بنهايته ، ثم ذهبت إلى الجلاد تسأله عن تلك الضحية ، فظنّها الجلاد إحدى قريبات الفتى المسكين أو سبيده . فقال : إنه سبي لم يتجاوز الثامنة عشرة قد ساقه القدر إلينا عند ارتكاب الجريمة . ولم يجد غيره

عاشت جرتود مع زوجها ستة أعوام كانت حالتها تزداد سوءاً على سوء ، ففاض الابتسام والاشراق من جبينها ونضب الجمال من وجهها وأصبحت الذراع المشوهة مصدر قلقها وتمسها ، وفوق هذا لم تعقب من زوجها ولداً وما كان أحوجه إلى ابن يحيا في اسمه ويرث أرضه

لم تقعد الزوجة لحظة عن السعي في علاج ذراعها وذهبت النصائح والأوصاف الطيبة في غير جدوى ولم تجد عليها الرق والتعاويد شيئاً

ولكن الحنين إلى الولد كان يشتد بالرجل يوماً بعد يوم حتى لم يستطع أن يغلبه ، فجاء إلى زوجته يوماً وقال : لقد فكرت أن أتبنى ولداً ولكن الوقت قد فات فقد مضى الولد ، ولا أعرف مكانه الآن — فأدركت الزوجة الغرض الذي يرى إليه فان قصة الزوجة الأولى « رودا » لم تكن قد غابت عن ذهنها وإن لم يتحدث أحدها إلى الآخر عنها كانت في الخامسة والعشرين ولكنها كانت تبدو فوق هذه السن بكثير . فقد قضت ستة أعوام كانت كلهما مجدية ثقيلة لم تذق فيها الحب إلا شهرين . وكثيراً ما كانت تخلو إلى نفسها وتستعيد أيامها الماضية ، فتهمج عليها ذكريات مرضها فتثور وتنثم تأوه قائلة : « آه لو عادت إلى أيام حبي الأول » ثم أرادت أن ترمي بآخر سهاها للشفاء من هذا الداء الميأ ، فانطلقت إلى الساحر القديم ، ولم تكن قد زارته منذ ست سنوات ، فلم يكذب الرجل يراها حتى تذكرها ، فذكرت له المرأة التجارب التي عملتها فهر الرجل رأسه وقال إن معظم هذه الأشياء لا تنفع — ليس هناك إلا طريق واحد ، ولكن صعب تحقيقه . وهو أن تطوق بذراعك المشوهة

فاستجمعت المرأة قوتها ومدت ذراعها ، فأخذها الجلابد ورفع الغطاء عن الجثة وطوق بها عنق المسكين ، فشمرت المرأة بهزة عنيفة وأخذ الدم يندفع إلى تلك الذراع المريضة ، ولكنها لم تكذب تلتفت وراءها حتى رأت « رودا » وقد احمرت عينها من البكاء وأرخت شعورها على كتفها ، وقد وقف بجانب زوجها « لوج » ساهماً حزناً ولكن عينيه لاندممان ، فقال لها في صوت غاضب أجش : « ماذا نعلمين هنا ؟ » ، ثم صاحت الأم : « رودا » يا لك من شيطانة أتحولين بيننا وبين ابنتنا .. إنك لتمثلين حقاً تلك الصورة البشعة التي رأيتها في حلمي القديم ، ثم جذبتها من ذراعها المارية ودفعها إلى الحائط ، فوقعت تحت قدمي زوجها ، فلما رفعها زوجها عن الأرض كانت غائبة عن الرشد

لقد كان المشنوق ابن « رودا » قد اتهم ظالماً في إحدى الجرائم ، ثم جاء إليه والده في الساعة الأخيرة ليشهد مصيره المحتوم . ولم يرد أن يخبر زوجه جرثود بهذا بل قال لها إنه ذاهب إلى قضاء أمر من أموره الخاصة

حات الزوجة ولكنها لم تبق إلا ثلاثة أيام حتى فاضت روحها لأن دورة الدم كانت أقوى مما تحتمل

أما الزوج فلم يكذب بفرغ من دفن زوجه حتى ترك قريته إلى بلدة أخرى حيث مات هناك بعد ذلك بعامين وقد أوصى بمعظم ثروته إلى أحد الملاحين تاركا جزءاً يسيراً منها إلى زوجه رودا — إن كانت لا تزال حية — إذ كانت قد اختفت من ذلك الأقليم كله . ولكنها عادت بعد ذلك بسنوات كثيرة وقد ابيض شعرها وتخاذل جسمها ولم يبق فيها إلا جبين منفضن يخفى أعماق الأفكار ، وقلب مكلوم يحمل آلم الذكريات تظلمى ضليل

نهمه . فأجابته المرأة : لست أسأل عن هذا بل أريد أن أعرف موعد التنفيذ . فقال الجلابد : في الساعة الثانية عشرة كالمادة ، أي بمجرد وصول البريد من لندن فقد يكون هناك عفو . فارتفعت المرأة وصاحت : عفو ؟ إلى لأود هذا ، فسألها الرجل : « ماذا تريدين ؟ »

فقالت : أريد أن ألسه لأنه أحد الطلام التي كانت السبب في تشويه ذراعي وهدم سمادتي . وقد أشار على بهذا أحد السخرة . فقال الجلابد : أوه . نعم ، نعم . لقد أدركت غرضك الآن . كثيرآ من النساء يأتين إلى مثل هذا الفرض . ثم تشكين ؟

فكشفت له المرأة عن ذراعها فأخبرها الرجل أن تذهب إلى محافظ السجن وأن تصطحب معها طبيباً ثم تقدم اسمها وعنوانها . فقالت له : ولكني لا أريد أن يعلم أحد بهذا — أتعينين حبيبك ؟

— لا . بل زوجي
— حسن . سأهد لك الطريق
— ولكن أين هو الآن ؟
— إنه لا يزال حياً في داخل هذا السجن . ثم

رسم الطريق الذي تسلكه ، فانصرفت شاكرة . وفي الساعة الثانية عشرة من اليوم التالي كانت المرأة جالسة في إحدى غرف السجن تنتظر تنفيذ الأعدام في المتهم الشاب

ثم قرى الحكم وسيق التهم إلى المشقة وفي تلك اللحظة دخلت المرأة بسرعة وقد حسرت عن ذراعها المريضة ، ثم انحنت على الصندوق الذي كان فيه المشنوق ، ولكنها لم تكذب تراه حتى خارت قواها وكادت تهوى إلى الأرض فأمسك بها الرجل وهمس في أذنها قائلاً : « هيا »

لشموره حتى يبدأ رد الفعل في أعضائه فينقلب إلى
الروح الجنوني كارعاً من الحر ما يفقده رشده
فيستولى عليه روح الهدم والتخبط . ولكم رأيته
يختتم نوبه هذه بقذفه كرسيّاً إلى نافذة مغلقه يحطم
زجاجها بقرقة تعم الأذان

وكنّت أراني مندفعاً بالرغم مني إلى تشریح
أخلاق هذا الرجل ، فكان يلوح لي كأنه فرد من
مجتمع غريب لا أعرف له مقراً على هذه الأرض .
فما كنت أعلم أكان هذا الانسان مسيراً في عمله
بيأس مريض أم بدلال ولد صغير

وكان ديجنه يبدو بخاصة في أيام الأعياد كأنه
ماخوذ بثورة عصبية فيأني بأعمال صبيانية يحتفظ
فيها بكل برودة خلقه فكان من يراه لا يبالك من
الاستغراق في الضحك . وقد أقنعتني يوماً بأن
أخرج للتنزه معه وحدنا عند الغسق فارتدينا
أثواباً غريبة الشكل وقنعنا وجهينا وحمل كل
منا آلة موسيقية وذهبنا على هذه الصورة تأهين في
الأحياء الصاخبة محتفظين برصانة أرباب الفنون ؛
وصادفنا في تجوالنا عربية كان سائقها تدب فيه
النماس فنام على مقعده فسارعنا إلى حل أربطة
الفرسين ثم تقدمنا إليه وصحبنا به فأفاق ، وركبنا
العربة طالبين منه إيصالنا ، وما لوح المسكين بسوطه
في الهواء حتى ذهب الفرسان خبيكاً وبقي هو في
عربيته مشدوهاً ، وتوجهنا بعد ذلك إلى الشاترايزيه
فرأى ديجنه عربية تنقدم نحونا فاعترضها وأمر
السائق بالوقوف وتهديده بالقتل إن لم يترجل عن
مقعده ؛ وإذ نزل الرجل عند إرادته مذعوراً أمره
بالانبطاح على الأرض معرضاً نفسه لأوخم العواقب ؛
ثم فتح باب العربة كأنه قاطع طريق فرأينا شاباً
وسيدة استولى عليهما الرعب الشديد ؛ وأمرني ديجنه
بمجاراته فيما سيفعل ، فأخذ يقفز من الباب ليعود

مَنْ أَعْمَاقِ النَفْسِ



استغراق في العَصْرِ

للفريدي مويه

بقلم الأستاذ فليكس فارس

(تابع)

وما كانت هذه الحياة المضطربة تخلو من
أوقات لها لذتها وصفاتها ، فقد كان معاشرو
ديجنه من الطبقة الراقية وأكثرهم من أرباب
الفنون ، فكنا نمضي أياي عديدة يسود سمرنا الخليلع
فيها ما يبعد جد البعد عن الفجشاء ؛ وكان أحد
الصحاب عاشقاً مغنية مشهورة تشجينا بصوتها
الساحر الحزين . ولكم جلسنا إلى المائدة فنسينا
ما عليها من طعام مستغرقين فيما يثير إنشاد هذه
المغنية في نفوسنا من حنين ؛ ولكم درنا بأفداح
الشراب ونحن نصغي إلى أحداً باقي علينا بصوت
عميق رائع بعض مقطوعات من لامارتين ؛ فكنا
نؤخذ بعمانيها حتى كأن تفكيرنا حصر في دائرة
منها ؛ فكانت تمر الساعات دون أن نشعر بها ، حتى
إذا جلسنا بعدها إلى المائدة سادنا سكوت رهيب
وعلقت بأهدابنا الدموع

وكان يتجلى هذا التأثير في مثل هذه الأوقات
على ديجنه بأكثر من تجليه في الآخرين وهو
المعروف بيننا بصلافة خلقه وبرودة طبعه ، فكانت
المواطف تتدفق من كلماته ولغته كأنه شاعر ساعة
نزول الإلهام عليه . وما كانت تنتهي نوبة استسلامه

شهوة الصبا من إهابها الغض وعلى خوان عملها
رواية كل صفحاتها صباية وغرام ، وهي لم تلتفت
علماً ولا تعرف عن الآداب والأخلاق شيئاً فتعفى
حياتها تخيط الأثواب أمام نافذتها حيث تمتد طريق
منع رجال الشرطة المرور عليها ليحييها عند المساء
رهط من بنات الهوى الحاملات الأجازات يخطرون
عليها ذهاباً وإياباً ، ما تفعل هذه الفتاة بمد أن تكون
قطعت أصابعها واستنفدت نور عينها منذ الصباح
حتى المساء عاملة في رداء أو في قبعة إذا هي انكأت
عند الغسق إلى نافذتها فرأت ما عمت فيه يداها
الشريفتان لكسب قوت من حولها يرتديه قوام
فاجرة ورأس عاهرة ؟ . . .

ولكم من عربة تقف أمام بابها كل يوم فتخرج
منها فتاة لها رقبها كالعربة التي تستقلها ، وتدخل
على هذه العاملة المسكينة لتجدجها بالفتات الاحتقار
وتقف أمام مراآئها لتجرب مراراً الرداء الذي
انكبت عليه في سواد الليالي لأنجازها . وتخرج
العاهرة من كيسها ستة دنانير يتوهج ذهبها ، وهي
العاملة لا تكسب إلا ديناراً طوال أسبوعها ،
فلا تملك نفسها من النفوس فيها والتأمل فيما تلبس
من حلى ثم تتبعها بأنظارها حتى تركب عربتها
وتتوارى

وبحى . يوم ينقطع فيه العمل عنها ويسود
الظلام على البيت الذي تطله الفاقة ، وقد انطرح
في إحدى زواياه الأم الربضة ، فتفتح العاملة البائسة
بابها وتمتد يدها قابضة على مجهول يمر على الطريق . . .
هذه هي حكاية الفتاة التي تعرفت إليها .
وكانت تحسن العزف قليلاً على البيانو وتعرف شيئاً
من فن الرسم ومن التاريخ والصرف ، فكانت
كل معارفها على هذا النحو شيئاً يسيراً من كل
شيء . ولكم كنت أنعم النظر في هذه المخلوقة

فيعز من الباب الآخر وأما أتبعه حتى خيل إلى من في
العربة والظلام سائد أن المهاجرين عصابة من اللصوص
يقول لك بعض الناس إن الحياة تولى من
يبتليها اختباراً ؛ ولعالمهم يعجبون في سرائرهم إذ
يصدقهم سامعهم . وهل العالم إلا عاصفة إعصار
لا يشبه أحدها الآخر ؟ فكل ما في الحياة يذهب
بدداً كسرب أطيّار ينتشر في الفضاء الفسيح ، فما
تجد مدينة تتشابه أحيائها ؛ فمن عرف أحدها يبقى
جاهلاً لسايرها ؛ غير أن هذه الأعاصير التي تدور منذ
وجود العالم لم تزل تخرقها سبعة أشباح لا تتغير
على عمر الأجيال : وأولها يسمى الأمل ، والثاني
الضمير ، والثالث الرأى ، والرابع الشهوة ،
والخامس الحزن ، والسادس الكبرياء ، أما الأخير
فيسمى الانسان

وما كنت وأصحابي إلا كسرب أطيّار ، فبقينا نسوية
إلى أن جاء الربيع نالغ حيناً ، وتركض أحياناً
ولعل القاريء يتساءل أين النساء في هذه
الحوادث وأين هي الفحشاء ؟

وماذا عساني أقول عن هذه المخلوقات الحاملات
اسم النساء واللواتي راودن حياتي كأشباح أحلام ؟
أيمكن للانسان أن يحتفظ بالذكريات من وقائع لم
يكن فيها شيء من الأمان والآمال ؟

وأين أجد هذه الوقائع الآفة لأثير منها تذكراً ؟
وهل من شبح أشد صمناً منك أيتها المرأة العابرة
كالظل ؟ وهل من انطباع أسرع إلى الزوال منك
في صفحة الذكريات ؟

وإذا كان لا بد من إيراد شيء عن النساء
فلأذكرن منهن اثنتين :

واليك الأولى

أسألك أولاً عما يمكن أن تؤول إليه عاملة
بالخياطة لها من العمر ثمانية عشر ربيعاً تندفق

انتهاز الفرصة للآخذ بأحدث لا طائل تحتها . أما (الفالس) فرقصة تتيح لك أن تتمتع بالرأفة التي تضمها نصف ساعة بين ذراعيك وتسير بها بين تصادم الراقصين وهي خفة الجوارح فتكاد لا تعلم إذا كنت تغتصب إرادتها أو تحمي ضعفها . وكما بين الراقصات من يستسلمن إلى قيادتك بخفَر تتدفق الشهوة منه فلا تعلم ما يدور في خلدك أشهوة هو أم حذر ، وتقف مرتاباً في نفسك فلا تدري حين تشد بالراقصة إلى قلبك أنت ربح ثمة أم تفقد كالقصبة الضعيفة بين يديك

لأرب في أن ألمانيا التي اخترعت هذا النوع من الرقص بلاد ما خفيت حقيقة الحب عن أهلها وكنت أخاصر راقصة رائمة الجمال تنتمي إلى المسرح الإيطالي جاءت إلى باريس لتمضية أعياد المرفع ؛ وكانت بزي الراقصات في هيكل إله الخمر ترندى قفطاناً من جلد النمر ، وما كنت رأيت في حياتي امرأة تشبه هذه المرأة في دلالتها ، فقد كانت ممشوقة القد فاحلة القوام تنطلق في خطواتها بسرعة ، ولكنك تخالها تنسحب سحباً وهي تنقص في دلها . واقف بحسب الناظر إليها أنها تتمب مراقبتها في حين أنه لا يحسب بها إلا كخيال ميال بين ساعديه

وكانت هذه الغانية مزينة صدرها بطاقة كبيرة من الورد تورثني نشوة أين منها نشوة الراح ؛ وكانت تنطوى على ساعدي لأقل حركة كأنها من الأماليد عاشقات الشجر ، فكنت إخالها بما فيها من لبونة وعذوبة خلاصة وشاحاً من ناعم الحرير يلغى كذبال الغمام . وكان عقدتها المتدلى من عنقها يهتز في كل دورة من دوران الرقص ضارباً على نطاقها الممدنى فأسمع له صوتاً خافتاً كخفيف الفصون . وكان في حركاتها من الجلال ما يوقني منها أمام كوكب

والأسي يرين على قلبي إذ أرى فيها بداية عمل الطبيعة ونهاية ما يأتيه المجتمع من النشوة ؛ ولكم شخصت بشخصي أمامها إلى ليل مدلم تلوح فيه شرارات ضئيلة من نور عليل ولكم حارت أن أشعل بمض الجرات الخامدة تحت هذا الرماد ، وقد كانت حلة شعرها بلونه ، فكنا ندعوها (سانديون)

وما كانت تروني تسمح لي بأن أعين لها معلمين فتولي ديجنه الانفاق على تعليمها ، ولكنها عجزت عن بلوغ أى نجاح ، فما كانت المعلم يتوارى عن نظرها حتى تكثف يديها وتبقى الساعات الطويلة محدقة بما وراء نافذتها . وكانت تمر الأيام على هذه الوتيرة فتهدتها يوماً بأننى سأقطع عنها المال إذا هي لم تنجح ، فبدأت بالعمل دون إبداء أية مقاومة ، ولكن بلغنى بمسد ذلك أنها كانت تخرج خلعة من البيت ولا يعلم إلا الله إلى أين كانت تذهب ، فرجوتها قبل أن أمرحها أن تطرز لي كيساً ، وقد احتفظت بهذا الكيس مدة طويلة كذخيرة حزينة وأبقيته معلقاً على جدار غرفتي كأنه رسم لسكل طلل غاف في هذه الحياة

أما الثانية فهذه قصتها :

وكانت الساعة العاشرة مساء ، وكنا قضينا نهراً في الرياضة المتعبة فتوجهنا إلى منزل ديجنه وكان هو قد سبقنا إليه لأعداد ما يلزم لليلة راقصة . ولما دخلنا البهو رأينا مريضاً بالدعوى وبينهم عدد وفير من الممثلات ، وقد بين لي الصحاب السبب في دعوتهن إلى الحفلات فقالوا إن الرجال يتراحمون عليهن وما وصات إلى القاعة حتى اندفعت مع تيار الراقصين ، وكنت شديد الميل إلى رقصة (الفالس) إذ ليس بين أنواع الرقص ما يخالها خفة ورشاقة وليس غيرها إلا حركات لا معنى لها بقصد منها

ورافصها وإذا هو لم ينفذ إليه ذلك الشيء المجهول
أو تلك السكهارب المسكرة التي تنتشر في المرقص
حين تتعالى النفثات ويكشف لخب الجسوم أنوار
المصابيح وما تنتشر هذه السكهارب إلا من
أجسام الحسان فيتكهربن بها أولاً ، ثم تهب منهن
كالبحق المتصاعد من مبخرة تتمايل مع الرياح

واستولى على خيل صريع . وما كنت أجهل
أن الحب يورث هذا الثمل ، وما كنت هذه أول
مرة عرفته ، ولكنني ما كنت أعلم من قبل أن
يوسع امرأة أن تدفع بالقلب إلى مثل هذا الخفوق
وأن تنير في الخيلة مثل هذه الأشباح بجملها
وبأزهارها وبثوب مخطط بكبد الحيوان المفترس ،
وبحركات دوران اقتبستها من أحد المهرجين ،
وبالنفثات معصم بض على كتف ، وذلك دون أن
تنبس بكلمة أو تبدي فكرة واحدة كأنها تترفع
عن الاعتراف بعزتها وسلطانها

وما كان ما أشعر به من الحب بل من الظلم
المحرق ، فاني لأول مرة في حياتي كنت أشعر
باهتزاز أوتار مشدودة منى على غير قاي ، فان تجلى
هذا الحيوان الرائع لعيني كان قد استنطق ورأ غير
أوتار القلب في أحشائي ، وما كنت أحس بنفسي
ما يدفعني إلى أن أقول لهذه الغانية إنني أحببتها
أو أعجبت بها أو حتى لأعلن لها تقديري لجالها ، فإني
كنت أشعر أن على شفتي ألا تعطشا للانصاق
بشفثها لأقول لها : منطقيني بهذين المعصمين
المتراخين وألقى على كتفي رأسك المسائل وارشي
بهذه البسمة العذبة شفتي

لقد عشق جسدي جسدها فكنت من جالها
في سكرة كسكرة الراح ...

ومر بي ديجنه فسألني عما أفعل حيث كنت
فأجبت : من هي هذه المرأة ؟ فقال : وأية امرأة

رائع يتسم لي فأخاها جنية تنشر جناحيها لتمود
أدراجها . وكأن الموسيقى الشجية الهائلة كانت
تصدح من بين شفتيها وهي مائلة برأسها إلى الوراء
تكالها الصفائر السوداء ، وقد أرق عنقها من
ثقلها فالتوى

وما انتهى دور الرقص حتى ارتحيت على مقعد
في زاوية القاعة ، وكان قلبي ينبض بسرعة قطعت
أنفاسي ، ففتفت قائلاً : يا لله مما رأيت !
يا المسخ الرائع ! وبالك من أفنى كلهما حسن وجمال
تعرف كيف تلتف وكيف تتعامل بجملها اللين
الأرقط ... لقد علمت لك حية الجنان المغوية كيف
تلتفين على شجرة الحياة وبين أسنانك ثمرة الموت .
يا لك ساحرة تتحكمين في قلوب الناس وتعلمين
ما يفعل بهم هذا الدلال الذي يتجاهل قوته ! وهلا
تدلين أنك تهاسكين وتفرقين وأن كل من لمسك
سيحل به العذاب ، وأن ابتسامك وعبق أزهارك
والاقتراب إلى ملاذك يؤدي إلى الموت ... ذلك
هو سر الخلاوة في افتراق تفرك وتفتق أزهارك ،
فأنت تعرفين هدفك عند ما ترسلين معصمك
متراخياً على الكواهل

لقد أعلن الأستاذ هاللي حقيقة مروعة حين
قال : (إن المرأة عصب البشرية والرجل عضلها)
وقد قال هو ومبوبات العالم الجدى نفسه : إن أعصاب
البشر يحوطها إشعاع خفي . وأتباع سبلانزاني
يمتقدون أيضاً أنهم اكتشفوا الحاسة السادسة . إن
في هذه الطبيعة التي تقذف بنا إلى الوجود ثم تدفعنا
إلى الموت وهي هازئة بنامن القوات الخفية ما يكفيها ،
فلا نضيف إلى ما نتسكع به من ظلمات ظلمات أخرى
ولكن أي رجل يمتقد أنه تمتع بالحياة إذا
هو أنكسر سلطان المرأة عليه ، إذا هو لم يشعر
بارتعاش ساعديه بعد أن يكون خاصر امرأة جميلة

يسحب رجله العرجاء ليطبق على (فينوس) ويشبهها
تقبيلًا ، ولحيته تعبق بدخان مصنعه وهو يحدج
بنظراته الزائغة جسم إلهة الجبال البض مستغرقا
في التحديق بها وهي كل ما يملك فيحاول أن يتنعم
ويتظاهر بالارتعاش مسرة وحبورا ، واسكنه في
الوقت نفسه يتذكر أباه كبير الآلهة (جوبيتر)
الجالس على عرشه في السماء

وحدق ديجنه في وجهي ولكنه لم يجب بل
قبض على يدي وجرنى قائلا :

إنني جدم متعب وأشعر بحزن ، فأنت هذا
الصخب يقتلني . هيا بنا إلى المائدة نستعيد قوانا
وجلسنا إلى مائدة جمعت كل مالد وطاب ،
ولكنني كنت أشاهدها ولا أتمتع بها إذ كانت
شفتاي ترتجفان في انقباضهما ، وسألتني ماركو عما
بي فبقيت شاخصا كالصم أمرح أبصاري من
رأسها إلى قدميها صامتًا ذاهلاً

وما تألكت ماركو نفسها من الضحك فضحك
ديجنه معها من بعيد وهو يرقبنا . وكانت أمامها
كأس كبيرة من البلور تنعكس عليها الأنوار
فتتكرر على أضلاعها لتشع بالسبعة الألوان . ومدت
يدها التراخية فلأت الكأس بخمرة قبرصية فيها
حلاوة الشرق ونكهته وقدمتها الى قائلة :

— هذه لك يا بني

أخذت الكأس ثم أعدتها إليها قائلا :
بل لك ولي

ورطبت شفتيها من الحباب وأعادتها إلى
فكرتها دفعة واحدة وأنا أرسل إليها نظرات
حزينة فاتتها ممانها

فسألتني : أردية هي ؟

— لا

— أمتب أنت ؟

تمني ؟ فقبضت على ساعده وسرت به في القاعة ؛
ولحظت الايطالية أننا نتجه نحوها فابتسمت وإذا
تراجعت قليلاً قال ديجنه — آه لقد رقصت مع
ماركو ...

— ومن هي ماركو ؟

— هي تلك المدلة الضاحكة هنالك ... فهل

أنت معجب بها ؟

— لا ، لقد رقصت معها وأحب أن أعرف

اسمها . وهذا كل إعجابي بها

وما قلت هذا إلا لأنني شعرت بشيء من
الحجل ، فتولى ديجنه عني وذهبت أنا نحو الايطالية ،
فاستوقفتني قائلا : رويدك ، يا أوكناف ! ليست ماركو
كسائر البنات ، فهي في عهدة سفير ميلانو وتكاد
تكون زوجة له ، وقد جاءت إلى هذه السهرة مع
أحد أصحاب السفير ، غير أنني سأكلهما في شأنك
فلا أدعك تموت إلا إذا لم يكن بد من موتك .
سأحاول إبقاء ماركو عندنا للعشاء

قال هذا وتوجه إليها فسادني اضطراب بمجز
بياني عن تحديدده ، وما بدأ بمحادثتها حتى تمشيا
سوية وغابا عن عياني بين ذرافات المدعون

وكنت أناجي نفسي قائلا : أيمكن أن يصيب
حدسي ؟ أنتكون هذه المرأة هي من سأحب ؟
ولكن ما لقائي ولهذا فأنا حوامي وحدها تعمل
عملها بمزلة

وكنت أحاول بمثل هذا التفكير أن أهدي
روعي . وما طال انتظاري حتى شعرت بيد ديجنه
تلق على كتفي وهو يقول : سنذهب إلى المائدة ،
وعليك أن تشبك ساعدك بساعد ماركو فهي تعرف
أنك معجب بها وقد تم الاتفاق ...

فقلت : إسمع ، يا ديجنه ، إن ما أشعر به بفوت
إدراكي ، فكأنني في رؤى أشهد (فولكان) فيها

— لا

— أنشكو صداعا؟

— لا

— ما بك إذا إلا هموم غرام

وظهرت على وجهها علام الجذ، وكنت أعلم
أنها وليدة نابولي لذلك نبضت إيطاليا في قلبها عندما
نفوحت باسم الغرام

وفي هذه الأثناء كانت الدماء تتصاعد إلى
الرؤوس والأفداح تتصادم بين الأنامل وبدأت
الحدود تصطبغ بلون الخمر فكأنها كانت تبرقع
أشد الوجوه اصفرارا كيلا تعلموها من الخجل حمرة .
وكانت الضجة تتعالى وتنخفض كأنها نبرات
أمواج ، والأحداق ترسل لماتها إلى كل صوب ثم
تذهب تائهة ... فكأن في القاعة سمات خفية
كانت تخفق فيها كل هذه الأرواح الهائجة في نشوتها ،
وكل روح تتلمس طريقها إلى سواها

وهبت إحدى النساء من مكانها بين الحشد
كما تتعالى على صفحة البحر الساكن أول موجة
تندسم الماصفة فتملو منذرة باقترابها . وقفت
وأشارت بيدها لينصت الحضور إليها وكرعت
كأنها ثم حولت أناملها إلى شعرها تنثر غداثرها
الذهبية على كتفها وعلى صدرها المتهدج بأنفاسه ،
فما أسمتنا سوى نبرتين مخننقتين وامتقع لونها فجأة
فتراخت على مقدمها

وقامت قيامة الحاضرين ، فسادهم الهرج والمرج
حتى نهاية السمر ، فما كان لأحد أن يتميز شيئا
وقد اخفط الضحك بالغناء والصراخ

وسألني ديجنه عما أقول في هذا فأجبتني بأني
لا أجد ما أقوله ، فما لي إلا أن أسد أذني وأمرح
أبصارى ...

وبقيت ماركو ساكنة وسط هذه المعمة فلم

تتكلم ولم تشرب بل أسندت رأسها بيدها وتاهت
في أحلامها . وما كان بلوح على وجهها ما يدل على
تأثر أو استغراب ؛ فقلت لها :

— أما تريدن أن تفعل ما يفعلون ؟ لقد سقيتني

خمرة الشرق فهل لك بتذوقها ؟

قلت هذا وملأت كأنها دهاقا فرفعتها ببطء
إلى فمها وارشفتها حتى التالة ، وبعد أن أعادت
الكأس إلى المائدة عادت إلى استغراقها

وكنت كلما أدمت النظر الى هذه المائدة أزداد
استغرابا بالحالها، فهي لا تسرلشي ولا يضايها شيء ؛ بل
تفعل ما يطلب منها ولا تقوم بأية حركة من تلقاء نفسها
فذكرتني بتمثال الراحة الأبدية ؛ فقلت في نفسي
لو نفخت روح في هذا التمثال لما كان يبدو لنا إلا
كماركو ثانية

وكنت أقول لها : أنت طيبة القلب أم أنت
شريرة ... أحزينة أنت أم صريحة ... أبروئك أن
تجبي ... أهوين المال والملاذات ... وأي نوع منها
تفضلين ... أسباق الخيل أم الخمر أم الرقص ...
أي شيء يجيبك ... وإذا لمجملين ؟

فما كنت أظفر منها إلا بجواب واحد على جميع
هذا ، وهو ابتسامة لا حزن فيها ولا سرور ، كأنها
تعني الاستسلام وعدم البالاة

وقربت إلى مبسمها شفتي فألقت عليهما قبلة
متراخية تشبهها ، ثم رفعت منديلها الى فمها فصرخت
بها : ويل لمن سيحبك يا ماركو ...

فألقت إلى بنظرة من مقاتها السوداء ثم رفعتها
إلى الملا وأشارت باصبعها بحركة إيطالية لا تقلد
ولفظت بتمهل الكلمة الكبرى الخاصة بنساء
بلادها : لقد يكون ...

وقدمت أشكال الحلوى والفاكهة ونهض

فريق من المدعوين إلى القاعة يدخنون ويلعبون

على شعور غريب يبدد ماثير هذه المحاسن من شهواتي
ولعاني كنت مأخوذاً باستهواء من الاشماع
الحنى فتحكم في ما في هذه الغانية من سكون وجود .
وانطرحت متمثلاً بها على المقعد المستطيل قبالة
مسيرها وتغلغل صقيع الموت في روحي

إن نبضان الدم في العروق يشبه حركة ساعة
غريبة لا تسممك خفقانها إلا في الليل ؛ ففي طيات
الظلام تتوارى مشاغل الانسان حوله فيعود منكشاً
على نفسه لسمع حركة الحياة فيه

وامتنعت جفوني عن الفمض بالرغم مما تحمات
من متاعب نهاري وأحزانه ، وكانت عيننا ماركو
تحدقان بي فكان كل منا شاخصاً في الآخر وقد
خيم علينا السكون

وقالت : ماذا يشغلك هناك ؟ أما تريد أن تجيء
الى جانبي ؟

فقلت : بلى ... إنك رائحة الجمال يماركو ...
وسمعت صوتاً كأنه نبرة أنين ، وكان ذلك
صوت انقطاع وتر من قيثارة ماركو . وأدبرت
وجهي نحو مصدر هذه الآلة ، فرأيت أوائل أشعة
الفجر تلوح بنورها الباهت سنائر النوافذ

نهضت فأزحت إحدى الستائر فانتشر الضياء
في جوانب الغرفة ووقفت لحظة أنظر إلى السماء
فاذا هي مجلوة صافية الأديم

وكررت ماركو دعوتها إلى ، فأشرت إليها
بأن تنتظر

وكانت هذه الغادة اختارت اسكنائها هذا
الحى البعيد عن مركز المدينة احتراساً ؛ وكان
لها منزل آخر تستقبل فيه أصدقاء عشيقها .
ولعل الغرفة التي كنا فيها ليست سوى موضع
خلوة ، فقد كانت تشرف على حديقة اللوكسنبور
التي رأيتها منبسطة أمامي

وما بقي على المائدة إلا العدد القليل . وكانت بعض
النساء تستسلمن للرقص والبعض الآخر للنعاس ،
وعادت جوقة الموسيقى إلى العزف وتضاءلت أنوار
الشموع فاستبدلت بها سواها ، فتذكرت وليمة
(بترون) التي ما كانت تنطق المصاييح فيها حول
من طرحهم السكر على مقاعدهم حتى يتسأل الخدم
إلى المائدة ليسرقوا ما عليها من الأواني الثمينة

ودام الانشاد يتعالى من أفواه اثنتالاة المغنين
الانكليز ذوي الوجوه الشاحبة

ودعوت ماركو الى الانصراف فنهضت
واستندت إلى ذراعي فشيمننا ديجنه قائلا :
— إلى الغد

وخرجت بها من القاعة وكنت كلما اقتربت
إلى منزلها يزداد خفوق فؤادي ويستولى الصمت
على لحيرتي في هذه الغانية التي تترفع عن الشهوة كما
تترفع عن السكره ، وما كنت أدرك السر في ارتجاف
يدي وهي تلم هذه المخلوقة الساكنة الجامدة

وبلغنا غرفة ماركو فاذا هي على مثالها قائمة
تنتشر الشهوة في جوها ، وكانت منارة بمصباح من
الرخام الناصع البياض يرسل في جوانبها أشعة
منكسرة ، وكانت المقاعد كأنها أسرة وثيرة مشدودة
بالحرير على زغب الطيور ، وما دخلت إلى هذا
المسكن حتى هبت في وجهي رائحة عطور تركية
أصابية مستوردة من القسطنطينية ، وهي أقوى
العطور تهيجاً للأعصاب وأشدّها خطراً

وقرعت ماركو جرساً فجاءتها وصيفتها الفتية
وصارت وإياها إلى الحدر وما لبثت حتى انطرحت
فيه على مسيرها وقد أسندت وجهها بيدها متراحية
على عاداتها

ووقفت أمامها أنعم النظر فيها وكنت كلما
موغلت في إعجابي وكلما ازداد انجلاء محاسنها ليستولى

و كنت أشعر في قرارة نفسي بقوة أظالها
فلا أستطيع التحكم فيها فكأنني منها كالقالبض
على قطعة من الفلين يريد إغراقها في الماء فتتملأ
بين أصابعه وتأتي طبيعتها إلا الانفلات إلى سطحه ،
ولكنني عند ما مدت بأنظاري إلى مسارح
الحديقة انتفض قلبي بين جنبي فهب التذكار بي
بيد كل فكرة تراودني . لكم هربت من المدرسة
وأنا صغير لأجأ إلى ظلال هذه الأشجار حيث
كنت أنطرح ويدي كتاب من جاحات الأشعار ،
وتلك كانت جميع ضلالت صباي وآسفا . . .
وتنبت ذكرياتي البعيدة تشارفني من الأشجار
الباسقة العارية من أوراقها وتتطلع إلى من خلال
الأعشاب الذابلة تحت ظلالها . إلى هنا أتيت مرة
للتنزه مع أخي ومعلمي وكنت في الماشرة من
عمرى ، فكنا نرى بقطع الخبز إلى ذرافات الطيور
الجائعة . وهنا جلست مرة منزويًا أنفج على رهط
من الفتيات يرقصن فيرقص قلبي لنفماهن : نعمات
نشد الأطفال ؛ وهنا أيضًا مررت ألف مرة على
الطريق ذاتها في رجوعي من المدرسة ، وأنا أقذف
الحصى برجلي ، وأطارذ بذهني بيتًا من قصائد فرجيل
شخصت مليا أمام هذه المشاهد فهتفت :
— هذه أنت ياطفولتي ، وها أنت هنا يا إلهي
وأدرت طرفي إلى الغرفة فاذا ماركو نائمة وقد
انطفأ المصباح ؛ وكان ضوء النهار قد بدل منظر الغرفة
تبدلا ، فظهر لون الورق الملصق على الجدران ،
و كنت حسبته في الليل مستعيرا زرق الآفاق ،
بلون الأوراق الخضراء وقد أحلها الذبول ، ورأيت
ماركو ، التمثال الرائع ، منطرحة على سريرها
ووجهها ممتنع كوجه الأموات
وملكتني رعشة لم أقو على امتلاكها فكنت
أنظر تارة إلى السرير وطورا إلى الحديقة فأشعر

بثقل هائل يخفض رأسي المتعب
وتقدمت بضعة خطوات إلى مكتب كان
مفتوحا قرب نافذة أخرى فجاست مسندا ساعدي
إليه ، والنفت بلا قصد أحرق رسالة تركت
مفتوحة عليه ، وهي لا تتضمن إلا كلمات قليلة ،
فقرأتها مرارا دون أن أفهم معناها حتى انجأت
تدريجيا ، فذعرت منها فجأة ، وأخذت الورقة
بيدي أقرأها ، فاذا هي مشحونة بأغلاط الاملاء .
وقد ورد فيها :

(لقد ماتت أمس عند الساعة الحادية عشرة
ليلا . شعرت بانقباض فدعنتي وقالت لي : ليزون
أنا ذاهبة للقاء رفيقي . افتحي الخزانة وخذي منها
الغطاء المعلق بعنبر فانه كذلك الغطاء ...)

جثوت باكية أمامها فعمدت إلى يدها صارخة :
لا تبكي ... لا تبكي ... ثم أرسلت زفرة ...)
وكان باقي الصفحة ممزقا

يصعب على بيان ما فعلت بي هذه الأسطر
الفاجمة . قلبت الرسالة بيدي فاذا على ظهرها عنوان
ماركو وتاريخ اليوم المنصرم فصرخت : — لقد
ماتت ... ومن هي التي ماتت ؟
وتقدمت نحو السرير مناديا : من هي التي
ماتت ...

وفتحت ماركو وعينها فرأنتي مستنداً إلى
سريرها والرسالة في يدي فقالت :
— هي أمي ... أنا تريد أن تأتي إلى جنبي ...
ومدت ذراعها نحوى . فقلت لها : — اسكني ...
فأني ودعيني هنا . فانقلبت على جنبها لتستغرق في
نومها ثانية

وشخصت إليها حتى تأكدت أنها لن تسمع
حركتي وتراجعت رويدا وانسجبت من المكان
(ينبع) فليكن فارس



هوميروس

حفل أولمبي



الأولاد نيسبر

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصول السابقة

« لم يعد أوديسيوس البطل اليوناني الكبير من طروادة بعد أن وضعت الحرب أوزارها بل ظل يضرب في البحار عدة سنوات بما أطمع أمراء النواحي في زوجته الجميلة ، غاصروا بيتها وأنفقوا ثروتها وترهبوا لولدها تلياك إيقناؤه ! وهو عائد من أسيرطة وبيلوس بعد أن اتى ملكيهما ، وحدته أحدهما عن مصير أبيه ... أما أوديسيوس فقد غرقت سفنه ، ونجا هو من الموت ، وسبح إلى جزيرة إحدى عرائس الماء (كليسو) التي هويته وشغفها حبه فأبقته لديها زمناً طويلاً حتى أمرها زيوس كبير الآلهة بإطلاق سراحه ومنحه سفينة يعود فوقها إلى بلده ؟ وقد أبحر على رمت صغير ظل البحر يلعب به حتى إذا بلغ أرض شيرا غرق الرمت وسبح أوديسيوس إلى الشاطئ ، وفي الصباح لقي ابنة ملك الفياشيين في جماعة من أتباعها يتلاعبن فوق الشاطئ ، فسألها أن تمنحه دثاراً يستر به عورته ؟ ورقت له الفتاة ، فأكرمت منواه ودلته على بيت أبيها الملك الذي هتن له وبش ، وعرض عليه أن يزوجه ابنته إذ لم يكن ثمة حائل دون ذلك ؟ وأرجأ النظر في عودته إلى بلاده إلى الصباح ... »

وصبغت أورورا بمنزل حمرة الحجل وجنات المشرقين ، فاستيقظ الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهبا إلى الشاطئ ، حيث تلاقى السفن مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجري أماس ، جلسا يتحدثان ؛ بينما كانت مينرفا تدق البشائر في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادى الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشيين وشيوخهم إلى مجلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم اللاجئ الذي حل عليه ضيفاً ... « كأحد آلهة الأولمب ، برغم ضربه الطويل في عرض البحار » وازدحم سادات المدينة وأشياخها في قاعة المجلس ، وكانوا يقفون في أوديسيوس نظرات الإعجاب والدهش ، وكيف لا ؟ وهذي مينرفا قد أضفت على صدره الرحب وكتفيه العظيمين ، وجسمه السامق ، رواء علويًا من الآلهة والجلال ، كان ينعكس وقاراً ورهبةً في قلوب الفياشيين

ولما انتظم عقد القوم نهض أليكنوس الملك ، فقال : يا سادة الفياشيين وشيوخ الأمة ، كلمة مرتجلة ، فاسمعوا وعوا : لقد حل هذا الضيف الكريم الذي لا أذكر اسمه في بيتي بعد أن شرّق في آفاق العالم وغرب ؛ وإنه ليرجو أن تمدوا له يد المعونة فيعود أدراجه إلى بلاده في كنفكم سالماً ، إذ طالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ، والاحسان إلى الغرباء اللاجئين ، وردهم إلى ديارهم كانت سحيفة آمين . . . فالبدار إذن . . . هلموا إلى سفائنكم فتخبروا أحسنها حالاً ، وأصلحها لمجالدة هذا البحر ؛ ولتمدوا لها نخبة ذوى بأس من أصاب فتيانكم عوداً وأشدّهم مراساً . . . إثنين وخمسين عدداً من أبنع زهرات شباب هذه الأمة . . . ثم تمالوا إلى فاني مولم لكم تحية لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبداً . . . وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الآلهي ، صاحب الألحان الخالدة ، والصوت السماوي الساحر ، فليشغف آذاننا بحلو أنغامه التي لا يقدر عليها إلا هو . . . »

وانصرف الملك في إثره شيوخ الفياشيين ، وانطلق رسول إلى منزل المنشد دمودوكوس الآلهي . . . واختيرت النخبة ذات البأس من شباب الملاحين ، وأعدت السفينة في مكانها الأمين من اليم ، فنصب القلاع ونشر الشراع وصُفّت المجاديف . . . ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ، حيث كانت الجماهير الحاشدة تكظ الأنواء ، وتزدحم في الدهايز ، وتملأ الصالة الكبرى . . . وجى ، بالذبايح . . . فهذان ثوران كبيران ذوا خوار . . . وهذي اثنتا عشرة شاة سمينة ، وتلك أربعة خنازير كيناز^(١) ما كادت

تذبح وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع فيما أقبلوا له من طعام وشراب . . . ثم أقبل منادى الملك يهود المنشد الألهي الأعمى ، رخيم الصوت ، صفى ربات الفنون ، اللاتي عدان له بقسطاين من خير ومن شر سواء ، فوهبته التطريب المعجز ، وسابته النور من عينييه العزيزتين . . . وأقيم له عرش مُمرّد في وسط الصالة الكبرى ، عند عمود مرمرى عظيم ، فاستوى عليه ، وأعلّمه بونتونوس بمكان قيثارته المماقة فوق رأسه ، ووضع بين يديه سلة من طعام ومزّة^(١)

وما كادوا يفرغون من آكلهم حتى رقصت عرائس الفنون في فم المنشد المطرب ، فأرسل غناء سحر أبواب الناس ، ورقى بها إلى أنير الآلهة في قبة السماء . . . لقد تغنى هذه الأغنية التي تنظم النزاع الذي شجر بين (أخيل) بن إليوس ، وبين أوديسيوس بن ليرليس أثناء الوليمة الإلهية ، والذي جاءت به نبوءة أبوللو (في دلفوس) حينما استوحاه أجاممنون عن يوم سقوط طروادة في أيدي اليونانيين وسكت المغنى ، ودفن أوديسيوس وجهه الساهم في ذيل ثوبه الأرجواني الفضفاض خشية أن يلاحظه أحد . . . وطفق يبكي . . . ويستخرط في البكاء ثم كشف عن جبينه ، وسقى الثرى كأساً من خمر صلاة الآلهة . . . ثم عاد إلى بكائه حينما وصل المطرب فغناه ، وكان يرسل عبراته في كسائه غير ملحوظ من أحد إلا من أليكنوس ، الذي عز عليه ما رأى وما سمع من عبرات ضيفه ، ومن تهدياته ، فقال : « حسبنا يا سادة ما طعمنا وما سمعنا . . . هلموا جميعاً نشهد الضيف الكريم بعض ألعابنا ليذكر في العالمين أن الفياشيين خير من بحري ومن شب ،

وأمر الناس في اللكم والمصارعة (١)

ونهب الملك ، ونهب في إثره كل أضيافه ،
وتقدم المنادى فقاد دمودوكوس ، وقصد الجميع
إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت
كواكب الشجمان والشباب اليافع من ذوى القوة
والفتوة والبأس الشديد ، أنوا من كل حذب لهذا
الحفل المشهود ... وفي وسط الحلبة وقف الأبطال
آكرون وأوكيال وإلاريوس ونوت وپرميوس ؛
ثم وقف خلفهم الأبطال أنخيال وأنايسين وإرتموس
ويوت وپرور وأمفيال وتون ... ثم نهض حليف
مارس المهوب يوريالوس ، ثم نغر شباب الفياشين
نوبوليد ... وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء
الملك الثلاثة ... لوداماس ولده البكر ، ثم هاليوس ،
ثم كليتون الأصغر ، وشارك نفر من أولاء في
سباق الجرى ، فأخذوا أهبتهم ، ثم انطلقوا يشيرون
التراب في أثر كليتون - ابن الملك - الذى شام^(١)
جميعا ، وتركهم يتعمثون وراءه كما تتمثر النيران
في إثر البغال ... وتلقاهم النظارة بالهتاف العالى
والتصفيق الشديد ، ثم كانت المصارعة التى برز
فيها يوريالوس على كل أفرانه ، كما برز أمفيال في
الوثب الطويل ، وإلاريوس في قذف القرص ...
أما في الملاكمة فقد تفوق لوداماس النبيل ابن ملك
شيريا ، وكان فوزه مسك ختام المباريات ، ثم نهض
لوداماس فقال :

« والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم
إذا كان يحذق شيئا يفخر به من هذه الألعاب ؟ !
إنه ما يزال غريب الشباب ، بادى الفتوة ، مكنز
المضلات ، عظيم مسنة الساقين والفخذين ،

(١) سبقهم (هامش القاموس)

مفتول الساعدين ، وإن له لعنقا أى عنق ... كل
ذلك برغم بدوات الضنى وأمارات العناء ، وما حطم
البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك لجسوم
الرجال من أجيال العباب ؟ ! »

وكانما راقت هذه الكلمات البطل يوريالوس
فطاب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ،
فنهض لوداماس ثانية وقال : « هلم أيها الضيف
فأرنا هل تجيد من هذه الألعاب شيئا ؟ إنه
ما استحق أن يعيد من لم يعمل بيديه ويسع
بساقيه ... هلم ؟ حاول إذن : فيم احترازك هكذا ؟
إنا لن نؤخرك قط ، فالسفيحة معدة والملاحون
على أهبة »

وقال أوديسيوس يجيبه : « أتخذنى هزوا
حين تدعونى للعب بالوداماس ؟ : أى لهو وأى
لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام ، لا أمل له إلا
أن يعود إلى بلاده ، وفي ذلك ما يضرع للملك
وللناس ! »

وهب يوريالوس بصيد^(١) ويقول : « كلا
أيها الصديق ... إني عزيزك ، فسيك لا تنبيء عن
رجل رياضى ، بل أكبر الظن أنك من رجال
الأعمال أو حَفَظَةِ الخازن ... أو ... إن لم
ينخب حدسى ... من أدلاء السفن في الثغور ؛
ومن يدرى ؟ فقد تكون عياراً أو قرصاناً ! ! »
وعبس أوديسيوس وبسر ، وانتشرت فوق
جبينه ظلمات من الهم ، وتهدج صوته فقال : « إنك
لم تحسن كيف تتكلم أيها السيد ، وإنك لم تبال
أن تطلق في لسانك بهجر القول كأنى رجل
لا اعتبار لى ... على أن الآلهة - جئت وعلت -

(١) يجهر بالقول

مجلانة تقيس مدى القذفة ، ثم قالت : « ألا أي هذا
الغريب ! الأعمى نفسه لا ينكر برهانك الدامغ
القوى ! إنه مدى لا يستطيعه أحد غيرك ، فتبه
على هؤلاء الفياشين ! إن منهم من لا يستطيع أن
يباريك في أى من هذه الألما ب فادعهم إليك
وما عليك من بأس »

وشاعت الكبرياء في نفس أوديسيوس حين
سمع هذا الهاتف من صميم الفياشين بطريه ويثنى
عليه وينصب من نفسه قاضياً له ، فقال ، وقد
انكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشباب فاقدفوا هذه القذفة ،
أفدنى أبعد منها وبقرص أكبر وزناً !! هلموا !!
ليأت أقوى ملائكتكم فاني له ! وليقف أضرى
مصارعكم فأنا أخوه ! وليجزمي أسرع عدائكم
فلن بلحق غباري ! لقد هجتم ثأري فهلموا ! إني
أتحداكم جميعاً إلا لوداماس فإنه مضيق وصاحب
قراى ، وليس بي أن أنازل من أكرم مثواى في
دار غربتي ؟ وليس بي من النرق ما يحماني على شيء
من ذلك ... أما غيره فأنا له ، وسيعلم منازل مهما
يكن مبلغ قواى ... إنه ليس من ألما ب الناس
ما بعمجزي ... فأنا رب القوس ، وطالما صرعت
الآلوف من الأعداء تحت أسوار طروادة ، وأبدا
مارى أحدهما كما رميت إلا فيلكتيتيس يوم حاز
قصب سبقتها دونى ... على أنه من أنا ؟ ؟
إني لم أبلغ من الحول بعض ما بلغ هرقل أو
يوربتوس الذى نفس عليه أبوللو مهارته في الرماية
فقتله ... هذا ... وإذا ذكر الرمح السمهرى ،
فاني أبلغ به المدى الذى لا تبلغه سهامكم !! على أننى
لا أطمع أن أبلغ خفتكم ورشاقة حركاتكم - فاقده
قاسيت من الأرزاء ما قصم ظهري ، وصارعت

لم يتفق أن منحت أحداً من المالمين كل آلامها في
وقتٍ مما ... بسطة الجسم ورجاحة العقل وقوة
البيان ... فقد يلوح لك هذا الرجل مُهدماً عظاماً
في حين قد وهبه جوف بيانا متيناً ولساناً مبيهاً
حتى ليخاب ألباب سامعيه ، وحتى ليرتفع في
نفوسهم إلى مصاف الآلهة ... وقد تنظر إلى ذلك
الرجل كأنما تتدفق في عضلاته قوى السماء ، وهو
لا يحسن أن يقول كلمة ... مثلك ... مثلك تماماً ...
فلقد أوتيت بسطة في الجسم ، حتى لتوشك في
ذلك أن تكون مثلاً تقيس عليه الآلهة ، إذا أرادت
أن تخلق مارداً جباراً . ولكنك - وأأسفاه ! -
لم تؤت بيانا ولا حكمة ! فلقد أثرت ثأري بكلماتك
الغلاظ ... المجاف ! إني - أيها السيد - كما
ذكرت - لا أحسن من هذه الألما ب قليلاً
ولا كثيراً ... ولكنى كنت فتاها وفارس حلبتها
أيام كنت شاباً يافعاً غض الاله اب ريان الشباب ...
أما أما الآن ! فوا أسفاه !! إن حداث الزمان
لم يُبق منى ... ولا على ! لقد ذبل شبابي في تقع
الحروب وسوح الوغى ... وفي هذا البحر اللججى
يفشاه موج من خلفه موج ... كالجبال ... بيد
أننى ... على الرغم مما ينقض ظهري من ويلات ،
سأثبت في سجل شجاعاتكم قوتي ! فان لما هرفت
به من قول السوء لأنياباً تعضنى وتمشنى ...
أو أدل على قوتي وجبروتي ... »

وكان إلى جانبه قرص القذف الذى يستعمله
أبطال الفياشين في مبارياتهم فانهض عليه واحتمله
بيده القوية المفتولة ثم دفعه دفعة هائلة كان لها هزيم
وقصف ، واستهولها بحارة الفياشين الشجمان
نفضوا رؤوسهم حتى استقرت بميداً خلفهم ...
وهنا بدت مبرقفا بين اللأفي صورة أحدهم ، وهبت

أوديسيوس وشدة تمجبه ، والطرب فيما بين ذلك
 يوقع لهم النغم الحلو ، والموسيقى العالبة ... وفرغوا
 من رقصهم ، فشرع المنشد يتغنى أسطورة مارس
 وممشوقته الآئمة سينريا^(١) إذ أغواها رب الحروب
 المستهتر بمسول الكلام ومطلول الفرام فاستلانت
 له ... وكان أبوللو - إله الشمس - يرقبهما
 من مركبته الذهبية في علياء السماء ، فطار بالفضيحة
 المشثومة إلى الزوج التاعس ... فلـ كان ... الذي
 استطير وثار ناره ، فراح يصنع أنشودة كبيرة
 كالشرك من حلق الحديد الفرغ الذي لا يقوى
 عليه أحد ، حتى إذا فرغ منها حملها إلى داره ودسها
 حول سريره ثم ألم بالنعرج النجس حيث أوى
 مارس إلى فينوس - الزوجة الآئمة - وكان
 مارس يغالب في عينيه أخريات غفوة الضحى ،
 فلمح فلـ كان يطوى الرحب إلى أرض لنوس -
 أحب الدائن إلى قلب الآله الحداد ... وطرب
 مارس أبعما طرب ... وأيقظ ممشوقته قائلا :
 « هلمى فينوس ... إنهمضى أيتها الحبيبة ... لقد
 ذهب زوجك إلى لنوس أرض البربرة ... هلمى
 إلى البيت ... إلى السرير الدافئ ... إلى الحب ...
 إلى نعيم الهوى ١١ » وهبت فينوس ... وانطلق
 الأثبان إلى سرير فلـ كان ، وفي قلب مارس غلة ،
 وملء جوانحه غواية وإثم ... وفي دمه شبق إلى
 هذه الفاكهة بكاد يقتله ... ولكن ... وأسفاه !
 إنهما ما كادا ينطرحان فوق الفراش الوثير حتى
 انطرحت فوقهما الأنشودة الهائلة ... وأمسكت
 بهما إمسكا شديدا ... لم يجدا منه حولا ، ولم
 يجدا منه مخلصا ... وكان أبوللو يرقبهما كذلك ،
 وقد حدث فلـ كان بما رأى .. فعاد الآله الحداد

موج هذا الخضم حتى حطمتني وأوهاني ، ولقيت
 من الطوى ما برأى ١١ »

وصمت الفياشيون ولم ينبسوا . ثم تكلم الملك
 فقال : « عمرك الله أيها النازح الكريم لقد
 جالجت في آذاننا كلماتك ، فدلّت على شجاعة
 وعنفوان ، وأخمت هذا الشاب الذي جرح عزتك
 وأهان كبرياءك أمام الجميع ، ثم سكت عن تحديك ..
 ولكن تعال فانظر إلى ما تربك من ضروب الخفة
 وفنون الرقص وفنون الغناء والسبق في العدو ،
 ومهارتنا حين نسوس الفلك فوق أعراف الموج
 ورغاء الشبح ، كما تتحدث بهذا كله إلى أقرانك
 وبين ظهري قومك ، وتحكيه لأطفالك . عمرك الله
 أيها النريب الكريم إنه لا نخر لنا في ميدان اللكم
 والمصارعة ، بل غاية المتاع عندنا نوب مُوشى ،
 وطعام ملوّن ، وقيثار مُرّنة ، ورقصة خاطفة ،
 وحمام دافئ وفراش وثير والآن ... هلموا
 أيها الفياشيون فالهوا أمام ضيفكم والعبوا ، وأروه
 من رقصكم وشنفوا أذنيه بفنائكم ، فلسوف يتحدث
 بكل ذلك في الأفاق ، وحسبكم أن يذكر عنكم
 أنكم أهدر من ركب البحار ! ... هلموا ... ليحضر
 أحدكم دمودوكوس الآلهى ... يعزف على قيثاره
 ويتلاعب بقلوبنا بفنائته ... ابحتوا عنه في بعض
 ردهات القصر ... »

وانطلق منادى الملك يبحث عن الطرب
 الآلهى ، وانطلق آخر بعد قيثاره ، ثم نهض تسعة
 فياصل يمهدون أرض الملعب ويهيتون الحلقة ،
 ويزحزون الجماهير ... وأقبل المنادى والطرب
 يسمي بين يديه ، وجلس في وسط الحلقة حيث
 أحرق به الولدان البواعع البوانع عيسون ورقصون
 بسيقان تخطف كمثل خطيف البرق ، بين دهش

الفادحة للأله الأعرج ... » ثم خاطب أبوللو
— رب الشماع الوضاء — هرمرز فقال : « يا ابن
چوڤ ، يا رسول السماء ، ألك في هذه الغفوة الحلوة
في حضن فينوس ، على أن تقع معها في هذا الشرك ؟ »
وأجابه هرمرز عابسا : « يا رب الرماة ! بنفسى
بنفسى ! ! منذ الذى يأبى حضن فينوس في شرك
هو ثلاثة أضعاف هذا الشرك ، على أن يرمقه سكان
الأرض والسماء ؟ ! » ؛ وتضاحك سكان السماء ،
ولكن نبتيون الذى ساءته هذه الحال خاطب ثاسكان
فقال : « هلم ثاسكان ففك هذه السلاسل والأغلال ،
وإنى زعيم لك كغفيل أنه مؤد إليك كل ما تفرض
عليه من غرم ! » ... ورفض ثاسكان أن يطلق
فريسته ... « لأنه من يضمن ألا ينطلق مارس
وهو لا يلوى على شيء ، غير عابىء بكل ما عساه
أن يمد ؟ » . وقال رب البحار : « ليطمئن قلبك
يا ثاسكان ، فوعزتى وجلالى انى لم يف مارس
لأنجزنا أنا ، ولأؤدين عنه غرامته ! ! » . فأجاب
رب الحديد الصناع : « إذن ، فان يحجب رجاؤك ،
ولن يرد طلبك : » وتقدم ففك الأغلال عن
الماشقين الفاسقين ، وانطلق مارس إلى مأواه
بأرض تراقية ، وانطلقت فينوس إلى مرتعها الجميل
بأرض بافيا — حيث تلقاها ررب من أترابها
بالبشر والترحاب ، ففسلها ، وضمخها بالطيوب
القدسية ، وأسبلن عليها شفوف الصبي وأردية الشباب

وفرغ دمودوكوس من إنشاده بين تأثر
أوديسيوس وتلف البحارة الفياشيين ، ثم أوما
الملك إلى أبنائه فوثبوا وسط الساحة ، وأخذوا
برقصون في خفة ، ويتقاذفون كرة عالية من صنع
بوليب ، فكان أحدهم يرسلها عالية حتى تدنو من

على عجل ، ولم يكن قد بلغ شطآن لنومى بمد ...
وكان قلبه يدق ... لا ... بل كان قلبه يكاد ينخلع
فوقف في البهو الكبير ثم أرسل صبيحة مدوية
يستصرخ بها الآلهة : « يا چوڤ العظيم ! يا آلهة
الخلود جميعا ! أنظروا ! إشهدوا كيف تفضح
فينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس ! ولله ؟
لأنه وسيم قسيم قوى ولأننى محطم منهوك موهون !
ذنب من ؟ إنها جريرة من أنسلونى وجاؤابى إلى
الحياة : أنظروا كيف يتمرغ الشهبانيون الفساق
فوق فراشى ! لقد تلاججت مشاعريهم فهم لا يبالون
أن يأكلنى الفيظ أو يقتلنى الحنق ... ولكن لا ...
حسبهم هذا الشرك الذى لن يقلهم حتى يرى
چوڤ فيهم رأيه ... چوڤ الكبير المتعالى .. والد
فينوس ! الذى أطلب إليه أن يرد إلى قناطير الهدايا
الزوجية التى قدمتها باسم ابنته الماهرة كشروط
لاطلاق سراحها ! »

ولم يكذب فرغ من صرخته حتى اجتمع في
بيت جوف ذى الأرض النحاسية جميع الآلهة ...
وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، ثم تلاه
هرمرز رسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبوللو ...
ثم غيرهم وغيرهم ... ولم يحضر من ربات الأولمب
واحدة ! فقد احتجزهن الخجل عن شهود
هذه الفضيحة ! ثم أطل الآلهة بقمقمهم
وبضحكون ... ويتلمهون بهذا المنظر العجيب ،
ويقول بعضهم لبعض : « يا للآثم ساق إلى
أوخم المواقب ! وبالأعرج الأكسح ، يشأنى^(١)
السباق المجلى ! ! لقد استطاع ثاسكان أن يمسك
بتلايب مارس ، الذى هو من هو ... مارس !
أمرع عدائى السماء ! إن عليه أن يؤدى الغرامة

به ، كلما أفرغ منه الخمر تقدمه الآلهة » . وسألها أن تعد للرجل حماماً ينمسه ، وأن تدع الأنواب والأكسية كيما يقدتر بها

وأمرت الملكة خدماً فأعدت الحمام ، وأحضرت هي ثوباً فضفاضاً فوضعت فيه بدر الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؛ ثم تلفتت إلى أوديسيوس فقالت له : « والآن أيها السيد هلم فقاق هذا الصندوق فهو لك ، لتكون آمناً عليه إذا غفوت في السفينة . » ولبي أوديسيوس ، وأغلق الصندوق ثم ربطه بحبل طويل عقده تمقيداً . ثم دعته ربة البيت إلى حمامه ؛ ولله كم أليقت عيناه حين رأى الثوب الديباجي العظيم ، الذي لم يلبس مثله منذ فارق كليسو ... ثم اغتسل وتذر ، وتضعخ بأحسن الطيوب ، وبرز كأحد آلهة الأولمب ... وبينما هو بطوى الأبهاء إذا صوت جميل ذو غنة بهنف به ... وإذا هي الأميرة الفينانة — نوزيكا — واقفة خلف عمود عظيم وهي تقول : « س . س . . . » . أيها الغريب النازح اذ كرني دائماً ، أنا ، أول من لقيك هنا !! » وتبسم أوديسيوس وقال : « نوزيكا !! أنت ؟ ابنة أكرم الملوك ألكينوس ؟ ! لك الله ! ألا وحق جوف رب الصواعق لو صحت الأحلام ووصلت سالماً إلى بلادى لظلمت آخر الدهر أعبدك عبادة أيها الجميلة المندراء كما أعبد الآلهة أربابي ! » . وبلغ مجلس الملك فاستوى إلى كرسي بجواره ، واجتمع الفياشيون مرة أخرى ، ودارت الأقداح ، وأجلس المطرب الأعمى الآلهي ، نخر شيرا ، قريباً من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من شواء حمله أحد الندبل ، فأقبل عليه المطرب حتى اغتنى ؛ ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال : « كم أنت جدير بالثناء يا دمودوكوس ، بل أنت أولى به من أكثر الناس ! ليت شعري : هل

السحب ، فيثب الآخر فيلنقطها وهو معاق في الهواء ، ثم يتقاذفونها أحدهم بمد الآخر ، بين تهليل الغتيان وتصفيقهم الشديد . ومسر أوديسيوس مما أبداه أبناء الملك في الرقص ، وأثنى عليهم لأبيهم ، ورجاه في الذي رجاه فيه من تهينة عودته ، فتوجه الملك إلى زعماء شعبه وقال : « يا زعماء الفياشين وأشياخ الأمة ! حري بنا أن نكرم منوى هذا الضيف الذي بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير أرومته الشيء الكثير ... هلموا إذن ... إنكم إننا عشر زعيماً ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل منكم بدرة من الذهب وصداراً مفضوفاً فتكون من الجميع هدية سنية له ... أما يوريلوس فعليه هدية كذلك ، وعليه أن يعتذر مما فاه به . » ووافق الكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسالهم يحضرون البدر والصدر ؛ ثم نهض يوريلوس يعتذر ويقدم لأوديسيوس سيفاً جرازاً له مقبض من فضة ، وقراب مطعم بالعاج ؛ ودعا له أن تسكلاه الآلهة بعين الرعاية حتى يرى زوجه وولده وبلاده ، بمد كل الذي احتمل من عناء ونصب . وتقبل أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن والسلم والرفاهية . ثم علق الجراز فوق كاهله الضخم ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ، فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحملونها إلى داخل القصر ، ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس فنهض أبناء الملك يتسلمونها ويحملونها إلى داخل القصر ، حيث أمهم أربنا الملكة ... ونهض الملك فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر ثوباً وأكسية ، وأن تعد صندوقاً يتسع لهدايا الزعماء ، ملوك البحر ، التي خلعوها على الضيف ؛ وقدم هو هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ، المحلى بأبهج الطarf وأبهى التصاوير ... « ليدكرن

مرة إلى زوجها القتييل ، وصرتين إلى أبنائها
التعاسين ! كذا كان أوديسيوس وكذا كان
يخفي دموعه في طرف رداءه فلا يراها أحد إلا
السينوس الملك الجالس قريبا منه ... وقال الملك
متحدثا إلى رعاياه : « أيها الزعماء والأشياخ
الفياشيون ، أولى ثم أولى أن يفرغ المنشد من إنشاده ،
فلقد تصدع قلب ضيفكم ووهنت روحه مما يسمع
من هذا القصص الحزين ! لقد أحببناه كأخ ووهبنا
له محبتنا وودنا وصافي أخوتنا لا ليحزن أويأسى ...
والآن ! هل يسمح ضيفنا فيذكر لنا اسمه الذي يعرفه
به آله ويدعونه به ؟ لقد كنتم هذا عنا ، فهل ولد
أحد ولم يحمل اسمنا ؟ من أنت أيها العزيز ، وما
بلادك ؟ وإلى أين تحملك سفينتي ويبحر بك رجلى ؟
لقد منحنا نيتيون — رب البحار — الأمن في ذلك
اليوم وذل لنا غواشيه ، ولكنه ليس أشق عليه من
أن تحمل سفننا أغرابا مثلك لانعرفهم فنبحر بهم
إلى بلادهم ! إنه يغضب علينا ، وقد يفرق سفننا
تشفيا وانتقاما حينئذ تعود أراجها إلى بلادنا ، فتهوى
إلى الأعماق ثم يسحرها إلى جبل تأتي فوق العباب ،
قَبِيلَ شيريا ! تسكلم أيها السيد ! أصدقنا ! من
أنت ؟ ومن أي البلاد قدمت ؟ وأين ضربت
بطون الركائب ؟ وأي الأمصار شاهدت ؟ وماذا
يفجر هذا الأذى في أعماقك كلما سمعت عن جنود
الآخيين وكما ترددت في أذنيك أغنيات طروادة ؟ إن
الآلهة تحبك من حاضر الرء طيلسان المعلوم لغده !
أقتل أبوك ثمة ؟ أم صرع أخوك تحت أسوارها ؟
أم قضى حموك في ساحاتها ؟ أم أودى أصدقاء لك
أحباء في حلبتها ، كنت تمسدهم كبيض أهلك ،
أو أعز من أهلك ؟ تسكلم ! »

دربني ضربة

(يتبع)

تفتت موسيقاك على عرائس الفنون ، أم أنت قد
حذقتها على أبولو نفسه ! لقد أنشدت ما كان من
جيش الآخيين كأنك كنت شاهد عيان ، أو كأن
شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لعمرك ! تحدث
عن الحصان الهولة الذي صنعه إيبوس بارشاد مينرقا ،
والذي حمه أوديسيوس الجبار هو وصحبه إلى قلاع
طروادة ، ثم اختبأ هو وهم فيه ، فكانوا أول خراب
إليوم ! ! تنن ! إلى سوف أحمل اسمك فأنشره في
الآفاق أيها المطرب المعجز الذي لا يباريه إلا عازف
موسيقى السماء ، أبولو ! تقدر اسمه »

وتنزل أبولو على لسان المنشد فراح يقص الوقائع
الطروادية مذكرا حرق اليونانيون معسكرهم وبعد
إقلاعهم من شطآن إليوم وذاك الانقسام في الرأي
بين الطرواديين عن الحصان الهولة أيقصمون ظهره
أم يدقون عنقه أم يحفظونه تذكارا لهذه الحرب
ونصييا للآلهة ... على كل حال لقد نقلوا الحصان
داخل أسوارهم ليكون القاضي عليهم بمن فيه من هذه
النخبة أولى القوة من أبطال الأغريق ... وهكذا
قدر عليهم في الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ...
تغنى الشاعر التفتن بكل هذا ، وأثنى أيمائنا على
أوديسيوس الذي كان بكر كأنه مارس ، ومثالا يوس
الذي كان يفر كالصاعقة ، وعلى بقية الأبطال الصناديد
الذين فازوا بالنصر في ظل باللا — مينرقا — ربة
الحكمة . وكان أوديسيوس ينصت إلى غناء المطرب
وإنشاده ، ودموعه تنحدر غزيرة على خديه ،
والآهات العميقة تشق صدره شقا ... كأنها آهات
تلك الأم الرؤوم التي وقمت فوق جثمان زوجها
الباسل تبكيه وتنميه ، وقد سقط في الحومة يدفع
عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من خلفها أبنائها
خضض يتأذى كأفراخ القطا ... ثم يقبل الأعداء
فيخمدون أنفاس هذه الأم بضربة لازمة ، فتظار